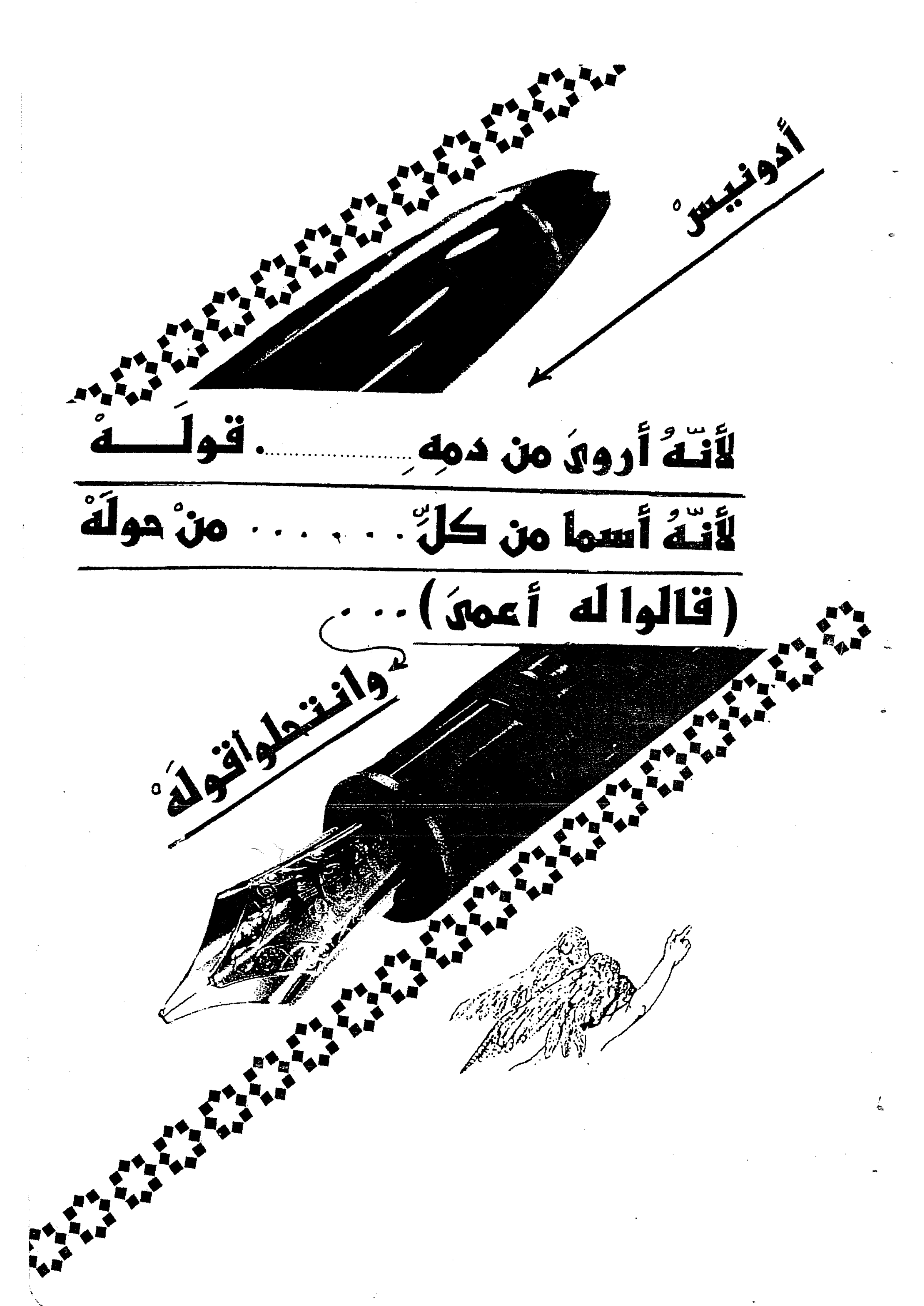


أدونيسْ
لأنّهُ أروىَ من دمِهِ............... قولَهْ
لأنّهُ أسما من كلِّ . . . . . . من حولَهْ
(قالوا له أعمىَ) . . .
وانتحلوا قولَهْ

# إلى روحِ العلاّمةْ

## أحمد محمّد حيدرْ

الغرفةُ الثكلىَ – على .... نزّالِها – خاويهْ
يغصُّ في ( غُربتِها )...الشعرُ وتبكي القافيهْ

من عندِنا لم ترتحلْ.، لم تزل أنفاسُكَ الحانيهْ
وتلك أطيافُكَ ما بيننا .....، رائحةٌ غاديهْ
ألمحُها في كلِّ ما تُبصرُهُ .. عينايَ من ناحيهْ

فهاهُنا ... خطا .. وهاهنا عَبَرْ
وهاهنا مرَّ ... . وها هنا نَظَرْ
وهاهنا،وهاهنا، تَكدّسي يا صورْ
ومزّقي مزّقي..ليس فؤادي حَجَرْ

للشاعرِ المُبدعْ
عزّ الدّين الخيّرْ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

مقدمةُ

# - كتابُ الهبطة -

طَلبْتَ إليَّ أيُّها الأخُ الكريمُ ، جعلَنا اللهُ وإياكَ مُستَشرِقَ أنوارِهِ ومُستَشعَّ أسرارِهِ كتابةَ كلمةٍ عن الهبطةِ معَ أنَّكَ والحمدُ للهِ أرسَخُ بالتوحيدِ قدماً وأعظمُ شأناً

وَرُبَّ سائلٍ عمّا هوَ بهِ أعرفُ . وقديماً قيلَ :

نحنُ أدرى وقد سألْنا بنجدٍ

أقصيرٌ طريقُنا أمْ طويلُ

وكثيرٌ منَ السؤالِ اشتياقٌ

وكثيرٌ منْ ردِّهِ تعليلُ

ولأنَّ حبَّكَ خالطَ لحمي ودَمي ومَلكَ عليَّ

شيئاً من تصرفاتِ قلبي. بادرتُ لإجابةِ طلبكَ

نزولاً عندَ رغبتكَ.. واستجابةً... لأمرِكَ،

وقد كنتُ استسهلتُ هذا التكليفَ أوّلاً —

لمعرفتي أنَّ الهبطةَ ليستْ شيئاً سوى —

لبسِ الأرواحِ هذه الأبدانَ، ★★★★★

والصّعبُ المستصعبُ بها هو معرفةُ...

ما أوجبَ الأرواحَ النوريةَ لبسَ هذهِ الأجسامِ الكدرةْ

ومعَ هذا فالمتكلّمونَ عن الهبطةِ كثيرٌ،...

ولا نحتاجُ إلاّ نقلَ بعضِ الأخبارِ، ثمَّ أخذَ خلاصتِها

وردَّ متشابهِها إلى محكمِها. ولمّا شرعْتُ بإجالتِها

بفكري وشفعْتُ ذلكَ بمطالعةِ ما دُوّنَ عنها،....

فلم أجدْ منهم مَنْ أحاطَ بها، لا بلْ لم أجدْ مَنْ حاولَ

ولو ذلكَ، ولعلَّ هذا بلاهةٌ منّي، أو أنّهم أرادوا

• الإيجازَ والاقتضابَ رَغمَ ما أوردُوهُ منَ الحديثِ الشريفِ وآيِ الذكرِ الحكيمِ وأخبارِ الأئمةِ المعصومينَ. لا بل رُبَّما كانَ بها أوردُوهُ شيء" مِنَ الاختلافِ حتى يَكادُ المتتبِّعُ أنْ يخرجَ منها كما دخلَ إلا الاستنتاجاتِ قد يُستخلَصُ منها ما رُبَّما يكونُ حقيقةً ملموسةً. ولم أزلْ بعدَ ذلكَ بينَ الإحجامِ والإقدامِ إلى أنْ دفعَني حُبُّ الإنجازِ فاندفعْتُ، وقادَني... جمالُ الاستطلاعِ فانقدْتُ فحينذاكَ رأيْتُ... أنّني إنْ تكلَّمْتُ عنها وعَنْ بيانِ ما يُحيطُ بها مِنْ مُلابساتٍ وإيهاماتٍ وإيضاحاتٍ كالمُبهماتِ واكتشافاتٍ كالمعمَّياتِ، يَجِبُ عليَّ أنْ أكتُبَ عنِ التكوينِ وتسلسُلِهِ وَإفاضاتِهِ وما الذّي.. أوْجَبَ إيجادَ الوجودِ على ما هو عليهِ مِنْ تغايرٍ

وتضادٍ، وما الحكمةُ في ذلك؟ ورأيتني أحتاج أيضاً
لمعرفةِ الأوادمِ لتتّضح لنا معرفةُ آدمَ المسجودَ لهُ،
وماهو هذا السجودُ؟ ومَنْ هو آدمُ الآكلُ...
مِنَ الشجرةِ؟ وما هي هذهِ الشجرةُ؟ ثم وجدْتُني
أحتاجُ تعريفَ الزمانِ والمكانِ لمعرفةِ أينَ كانتْ
الرّوحُ ومِن أينَ أتتْ... وأينَ حلّتْ؟
ثم رأيتُني في أمسّ الحاجةِ لمعرفةِ عالَمِ الغيبِ المجرّدِ
وأينَ مكانُهُ وكيفَ كيانُهُ؟ لمعرفةِ كيانِ الرّوحِ
وكيفَ كانتْ؟ مَعَ أنّها لم تزُلْ عن كيانِها الأوّلِ
ثم احتجْتُ شيئاً مِن معرفةِ تركيبِ الإنسانِ
وشرَفِ صورتِهِ وكمالِهِ، لمعرفةِ أنّ هذه الروحَ
لاتزال مكرّمةً عندَ اللهِ غايةَ التكريمِ، محبوبةً
منه أعظمَ الحبِّ... ثم تأكدْتُ بعدَ ذلكَ أنّني
أحتاجُ أنْ أكتبَ عن شرَفِ الطبيعةِ....

واتّحادِ الكونِ لمعرفةِ أنّ هذهِ الأرواحَ لم يُلقِها
اللهُ من عالٍ إلى سافلٍ، ومِنْ بسيطٍ إلى مُركّبٍ
هوانًا بها وازدراءً بمكانتها، ثم لا بُدَّ بعدَ ذلك
مِنْ إلمامةٍ بالشرورِ ولو إلمامةً عجلى لاعتقادِ •
الأكثرِ أنّ لبسَ الأرواحِ هذهِ الأبدانَ كلَّهُ شرٌّ
عليها، والحقيقةُ عكسُ ذلك. ثُمَّ لا بُدَّ مِنَ التكلّمِ
عنِ القبضتينِ، أو قلِ الروحينِ والتّعليقِ على
ذلك، ثم أحاديثِ الهبطةِ وأخبارِها المنوعةِ
بمظاهرِها المتوحّدةِ بمقصدِها. فنكونُ بذلك على
ما أرى قد.. أحطنا بجميعِ ما يتعلّقُ بالهبطةِ
واستخلصْنا بذلكَ الرأيَ ✶✶✶ بحولِ اللهِ
وحسْنِ توفيقهِ. ومَعَ هذا كلِّهِ فقدْ آثرْتُ...
الإيجازَ جُهدَ المُستطاعِ ولكنّني كلّما أردْتُ

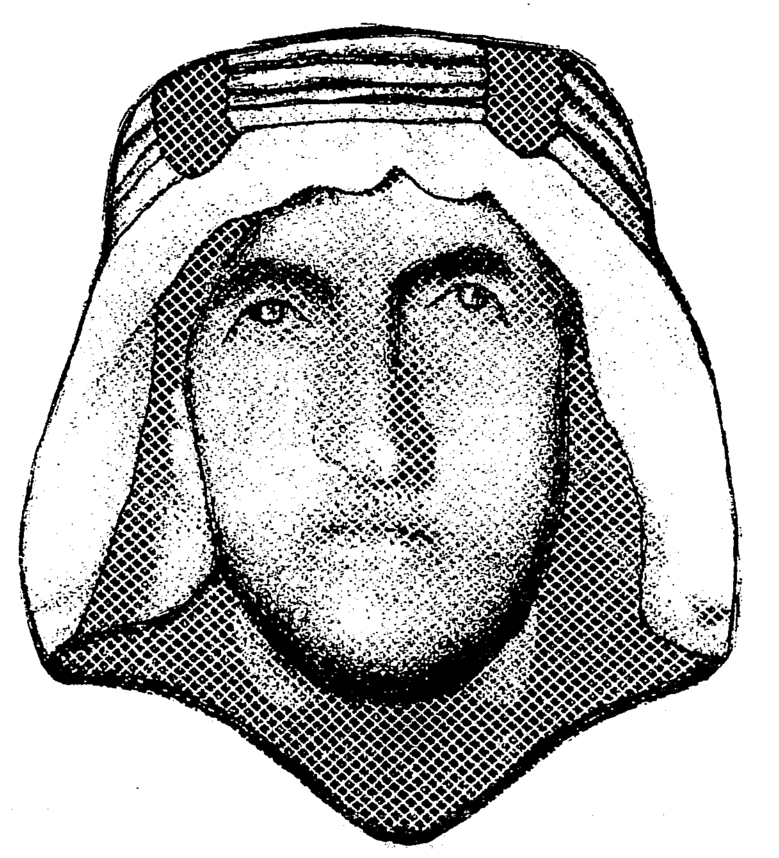
الإيجازَ دفعَني للتوغُّلِ ... شدةُ الحاجةِ
وحُبُّ الإيضاح . وبعدَ أنْ خلَصْتُ منها وجدْتُها
تحتاجُ إلى أطولَ مما كتبْتُ وأوسعَ مما نقلْتُ . وهذا
التطويلُ لم ... يَخْلُ مِنْ فائدةٍ لا بلْ فوائدَ جمّةٍ
ونظراتٍ مُبْهَمةٍ والحمدُ للهِ على أنني عارفٌ كلَّ
المعرفةِ بعجْزي عنْ فهمِ العباراتِ المعنويّةِ والنفحاتِ
القدْسيّةِ بالإشاراتِ اللّفظيةِ ، فلذلك لا أشرحُ
الخبرَ إلا بأخيهِ ولا الجملةَ إلا بقرينتِها وإنْ زادَ
على ذلك فبما علقَ على خاطري واستَشْرقَ به فهمي ،
مما لا يخرُجُ عن رأيِ المعصومِ ولا يتجاوزُ ...
المأثورَ من محكَمِ أحكامِهم وخاصِّ أخبارِهم ، ومعَ
هذا فواللهِ لا أكتبُ لأقرِّرَ ، ولا أنقلُ لأفرضَ ،
ففنُّ التوحيدِ دقيقٌ كلَّ الدقةِ . ودِقّتُهُ مستورةٌ

تحتَ حُجُبٍ كثيفةٍ مِنَ الرموزِ وَالإشاراتِ،

ودونَ الألفاظِ والكناياتِ، غيرَ أنَّني باللهِ ٭

أستعينُ مِنَ الخطأ ٭٭ وأعتصِمُ بهِ مِنَ الزَّلَلِ

وهوَ حَسْبي وعليهِ مُتَّكَلي



8

# التكوين

قالَ الفلاسفةُ الإلهيونَ إنَّ الوجودَ المطلقَ

له مراتبُ متعدِّدةٌ فأوَّلُ مرتبةٍ منه غيبٌ مُطلَقٌ

لا اسمَ له ولا رسمَ، ولا يُخبرُ عنْ هذهِ المرتبةِ

إلا بعنوانِ مقامِ ظهورهِ بالوجوبِ الذاتيّ. ومرتبةٌ..

منه، فعلُ الواجبِ وظهورهِ ويريدون به...

(الحقيقةَ المحمديةَ) وفي هذهِ المرتبةِ تظهرُ تمامُ

صفاتِ اللهِ وأسمائهِ. وهذهِ المرتبةُ ... تسمّى

بأسماءٍ متعدِّدةٍ متنوِّعةٍ بحسبِ مفاعيلِها...

فباعْتبارِ كونِها عنوانًا للهِ، تُسمّى بالواحديّةِ.

وباعْتبارِ كونِها اقتضاءً... لإيجادِ العالمِ تُسمّى

بالمشيئةِ، وباعتبارِ كونِها نفسَ إيجادِ العالمِ...

تسمّى بفعله تعالى، وباعتبار كونها جامعةً لتمام الأسماء والصفات بوجودٍ واحدٍ تُسمّى بالله وباعتبار كونها أداةً للخلق والتكوين تسمّى الحقّ المخلوق به. وباعتبار أنّ العقول جميعا *** أُفيضتْ عنها تُسمّى بعقل الكلّ، وباعتبار كونها فاعلةً المفعولات، تُسمّى بالعقل الفعّال وباعتبار أنّ الله كتبَ بها ... المكوّنات باللوح المحفوظ تُسمّى بالقلم إلى غير ذلك من الأسماء التي لا تكادُ تُحْصى. ولمّا كانت ... المشيئةُ وهي هذه الرتبةُ الثانيةُ ذاتُ جهتين جهةٍ إلى المضاف وهو اللهُ، وجهةٍ إلى المضاف إليه وهوَ المكوّناتُ، سُمّيتْ باعْتبار جهتها إلى الله عَرْشاً، ولا يُطلقُ عليها هذا الاسمُ إلا حينَ ... تُنْسَبُ إلى الأشياء.

وباعتبارِ جهتِها إلى المضافِ إليهِ تُسمّى كُرسيًّا

ولذا وَرَدَ: جميعُ الأشياءِ بالكرسيِّ ★★★★

﴿وَسِعَ كرسيُّهُ السمواتِ والأرضَ﴾ والكرسيُّ في العرشِ،

لأنَّ كلَّ عالٍ محيطٌ بما دونَهُ، وقد — ★★★★★

يُسمّى عقلُ الكُلِّ (الحقيقةُ المحمديةُ) بالعرشِ،

ونفسُ الكلِّ «النفسُ الكليةُ» بالكرسيِّ لكونِهما

مظهري هذينِ المظهرينِ أيضًا. وقدْ يُسمّى

الفَلَكُ المحيطُ عرشًا والفَلَكُ المكوكبُ كرسيًّا...

لكونِهما مظهَري هذينِ المَظْهرينِ أيضًا. وَلا يَتمُّ هذا

الاستواءُ المذكورُ بقولِهِ سبحانَهُ «الرحمنُ على العَرْشِ

استوى»، إلّا بتماميّةِ العَرْشِ... وليس تماميةُ العرشِ

إلا بتماميةِ السماواتِ والأرضِ، ولذا فسَّرُوا هذا

الاستواءَ بأنّه نسبةُ العرشِ إلى الدقيقِ والجليلِ

ومِن هنا... فنازِلًا عالَمُ المجرّداتِ ذاتًا وفِعلًا،

وهُمُ الملائكةُ المهيَّمونَ الذينَ ذكَرَهُمْ صاحبُ التنبيهِ، ويُسَمِّيها الفلاسفةُ العقولَ الطوليةَ والعقولَ العَرْضيةَ، وأربابَ الأنواعِ، وهكذا مِنَ الأسماء التي لا نعرفها تماماً إلا بنقل شروحها، وتبقى على غموضها الا على.. دارسيها إلى عالَمِ المثالِ النازلِ المعبَّرِ عنْه باللاهوتي وفيهِ صورةُ كلِّ ما في عالَمِ الطبْعِ بنحْوٍ أعلى وأشرفَ مما هُنا ثمَّ عالَمِ المادياتِ مِنْ سَماواتِهِ وسماوياتِهِ، وعنْصُرِهِ وعُنْصرِيَّاتِهِ، وهذا العالَمُ وهو عالَمُنا مَجْمَعُ الأضدادِ ومَوْرِدُ المتخالفاتِ، وفيهِ تعليمُ آدمَ الأسماءَ، وخلافتُهُ على ما في الأرضِ والسَّماء ومِنْ دُونِ عالَمِ المادِيّاتِ عالَمُ الجِنَّةِ والشياطينِ، وهوأسفلُ العوالِمِ وأبعدُها عَنِ اللهِ، وبِهِ محلُّ الأشقياءِ وعذابُ أهلِ النارِ...

وهو مقابلُ المثال العالي والنفسُ ان لم تهوِ الى دركات الملكوتِ السفلي «جهنّم» صعدت عن المقام البشريّ للاهوتي وهو مقابل الناسوتي فما يحصل في الناسوتي يكون مدبّرًا عن هذا العالم، وإنني لألمح فيه رجوع النفس إلى أصفى مما كانت عليه . . .

وأحسن مما كانت به ووجود هذه العوالم عن الله سبحانه لا كوجود الصنعة عن الصانع بل كوجود الكلام عن المتكلم، والنور عن الشمس والحرارة عن النار. وإليك التكوين من جهة أخرى وكان يجب أن نقتصر على هذه الجهة لولا أنني رأيت أن مطالعة تلك كلها فوائد. أول موجود فاض عن الباري العقلُ الفعالُ ثم النفسُ الكليةُ عن العقل، ثم الهيولى عن . النفس الكليةِ، والهيولى ذات ثلاثة أبعاد

طولٍ وعرضٍ • وعمقٍ فشكلت هذهِ الأبعادُ •
الثلاثةُ جسماً ، لكنه جسمٌ مطلقٌ ، فهذه
الأبعادُ الثلاثةُ أبعادٌ معنويةٌ ، وهذا الجسمُ هيولى
ثانيةٌ لِتتميمِ الإيجادِ . فصورت النفسُ الكليةُ في
هذا الجسمِ الأشكالَ والصورَ ، وحركتْه حركةً
دوريةً . كان منها عوالمُ ... الأفلاكِ بعضها في
جوفِ بعضٍ ، من الفلكِ المحيطِ إلى منتهى . . .
فلكِ الأرضِ ، وصارت الأرضُ أغلظَ الأجسامِ
كلها ، وأشدَّها ظلمةً لبعدِها عن الفلكِ المحيطِ ،
وتولّتِ الأفلاكُ السماويةُ بحركاتها المنتظمةِ
توليدَ الأركانِ الأربعةِ : النارِ والماءِ والهواءِ •
والترابِ ، وتعاقبَ الليلِ والنهارِ والفصولِ •
الأربعةَ ، واختلط بعضُها ببعضٍ ، فامتزجَ اللطيفُ
بالكثيفِ والثقيلُ بالخفيفِ ، والحارُّ ... بالباردِ •

والرطبَ باليابسِ، فتركبت منها العوالمُ الأربعةُ،
عالَمُ المعدنِ، وعالَمُ النباتِ، وعالَمُ الحيوانِ،
وعالَمُ الإنسانِ، فالنفسُ الكليةُ هي نفسُ العالَمِ
بأسرِهِ، والعقلُ الفعالُ هو القوةُ الإلهيةُ **
المؤيدةُ للنفسِ الكليةِ، كما أنَّ الطبيعةَ الكليةَ
هي قوةُ النفسِ الكليةِ السارية في الجميعِ تحركُها.
وتدبّرُها. وبالعَرْضِ والطول... والعُمْقِ كانت
الهيولى ذاتَ جسمٍ ولكنّه جسمٌ مطلقٌ، والأجسامُ
البسيطةُ هي قوى للنفسِ الكليةِ أيضًا... وهي
المحرّكةُ والمدبرةُ لهذه الأجسامِ، ونُعرفُ الوجودُ
معرفةً تامةً من (التنبيه) عند ذكرِهِ تَنَزُّلَ
الكوناتِ وصدورَها أربعًا فأربعًا عن الوجود..
المطلَقِ. قال: الحقائقُ الالهيةُ أربعٌ: الحياةُ.
والعلمُ والإرادةُ والقدرةُ، ولكلٍّ منها مظهرٌ

وصورةٌ، فمظهرُ الحياة إسرافيلُ، ومظهرُ العلمِ
جبرائيلُ، ومظهرُ الإرادةِ ميكائيلُ، ومظهرُ القدرةِ
عزرائيلُ، ولكلٍ من هذه المظاهرِ ظلٌ يمثلُهُ، الظلُ
الأولُ العقلُ الكليّ، والثاني النفسُ الكليةُ، ..
والثالثُ الكلمةُ الكليةُ، والرابع الصورةُ الكليةُ،
ولكلٍ من هذه الظلالِ صورةٌ طبيعيةٌ، الأولى ..
الحرارةُ الكليةُ، والثانيةُ الرطوبةُ الكليةُ، والثالثةُ
البرودةُ الكليةُ والرابعةُ اليبوسةُ الكليةُ، ولكلٍ
من هذه الصورِ شخصٌ، الأولُ يسمى بالنارِ
والثاني يسمى بالهواءِ، والثالثُ يسمى بالماءِ،
والرابع يسمى بالتراب وتركَّبَ من هذهِ ..
الأشخاصِ .. أربعُ عوالمَ، عالمُ المعدنِ، وعالمُ
النباتِ، وعالمُ الحيوانِ، وعالمُ .. الإنسِ والجنِ،
وقد تفهم من استعراضك شروحَ الفلاسفةِ

لكيفيةِ الوجودِ والإيجادِ ولإفاضاته رتبةً عن رتبةٍ وما لكل رتبةٍ من المفاعيلِ وما صدرَ عنها من التكوينِ مع شدّةِ اختلافهم ، ألذي أرى أن أكثره أو كلّه بالألفاظِ والأسماءِ . تفهم من ذلك أن جميعَ الفلاسفةِ اتفقوا على ضرورة إيجادِ الوجودِ على ما هو عليه من التغايرِ والتضادِ كما أتى عن الموالي الكرام ما بين محسوسٍ ومعقولٍ ، وحيٍّ ومواتٍ ونورٍ وظلمةٍ ، وموت وحياةٍ ، ومجرّد وعرضي ، وعلمٍ وجهل . وما أشبهَ قال الشيرازي : لو لم يخلقِ اللهُ الوجودَ على ما هو عليه من تضاد لما كَمُلَت تقاسيمُ الوجودِ

************

## - وجود الجِنّ والشياطين -

ويتبع سلسلةَ الوجودِ سببُ وجودِ الجنّ

والشياطين، وقد تعجَبُ كلَّ العجبِ حينما ترى أن

إيجادَهم عن النور البسيط، و... لكن إذا قرأتَ

المثلَ عن ذلك وعلمتَ حقيقتَه تجدهُ رأياً

مستساغاً حلواً، وتعلَمُ أنه لا يجوزُ إلا ذلك

تبعاً لقانون... الأسبابِ والمسبّباتِ، والعللِ

والمعلولاتِ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ وجودُ الجنِ

والشياطينِ رأساً عن النورِ الا بتفاعلاتٍ يحدثُ

بتضادِّها وتفاعلِها شيءٌ آخر، والمثَلُ **

المحسوسُ في ذلك، أن النورَ العرضيَ إذا

قابلَه جسمٌ صلبٌ لا ينفذُ.. فيه النورُ على

استقامتِه سواء كانَ صقيلاً كالبلورِ أو غيرَ

صقيلٍ كغيرِه من الأحجارِ الصلبةِ فإذا اجتمعَ . . .
النورُ فيه وتراكم . . . ظهرَ منه آثارٌ غيرُ الآثارِ . .
النوريّةِ، مثل النارِ الحاصلةِ خلفَ . . . البلورةِ .
إذا قابلَتْ نورَ الشمسِ، وكالنارِ الكامنةِ خلفَ
الأحجارِ الكبريتيةِ وغيرِ ذلك، وكذلك النورُ .
الحقيقيُّ المجردُ إذا قابله جسمٌ صلبٌ لا ينفذ فيه
على الاستقامةِ، كالمادة . . القابلةِ التي لا جهة
فعلية فيها. وليس لها إلا الاستعداد فقط وعالم
الأجسام ليس به إلا جهةُ القبولِ فقط لا الفاعليةُ،
فإذا اجتمعتِ الوجوداتُ الضعيفةُ البعيدةُ من
وحدةِ الوجود حصَل من اجتماع الأنوارِ فيها . .
نارٌ كامنةٌ فيها أو خلفَها، ويكون من تلك النارِ
نفسٌ مناسبةٌ لها شريرةٌ إمّا بعيدةٌ عن الخيرِ
ظاهرةُ الناريّةِ، كالنّارِ الظاهرةِ خلفَ البلّورِ .
وحدوثِها من نورِ الشمس والبلورة، أي بتفاعلِ

شيئين متناقضين، أو قريبة من الخير كالنار الكامنة في الأحجار الكبريتية وغيرها وحدوثها من نور الشمس والحجر
فالقسمُ الأولُ الشياطين
والقسمُ الثاني الجِنّ





## ـ الأوادم

وحيث نقلنا عن الإيجادِ وضرورة تغايره وتضاده لمعرفةِ أنَّ وجودَ هذه المكوناتِ المحسوسةِ يكسوها الجمالُ الإلهي وينظمها العقلُ المعنويَ، لم يكن عبثاً وإنّ ضرورةَ تعاقبِ الكونِ والفسادِ عليها ليصحَّ لها بذلك التحوّل تَسَنُّمَ الكمالاتِ وارتقاءَ الدرجاتِ وإذا لم يكن تاماً هنا فَهْمُه، فسيتمّ إن شاء الله، وأراني مضطراً بعد ذلك إلى نقلِ معنى آدم وأنواع الآدمية عساه يُعطينا بعضاً من أسرار الهبطة

إنَّ الأوادمَ ليسوا واحداً ولا نوعاً واحداً بل يوجَد آدمٌ ملكي «عالم الإنسان»، وآدمٌ ملكوتي،

وآدم جبروتي ، وآدم لاهوتي، وبهذا المعنى
قال أمير المؤمنين (ع) : « أنا آدم الأول »
وهذا لا شك معنى قول الرسول (ص):
« أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة » .
ومعنى هذه الأوادم هو أنّ كلّ ما في عالم الطبع
(عالمنا) الذي هو عالم الكثرة له صورة ومثال
في عالم المثال يشبهانه أتمّ الشبه بنحو التكثر
والتفصيل بحيث لو رآه راءٍ لقال هُوَ هُوَ بعينه
من غير فرقٍ وتمييز كالظل والشخص. وله أيضاً
حقيقةٌ في عالم العقول العرضية وأرباب الأنواع
أي بالعالم الذي فوق عالم المثال، وله حقائقُ
بنحوٍ أتمّ وأبسط بعالم العقول الطولية وكلّ من
هذه العوالم ذريّةٌ لما فوقه ، لكنّ كلّ ما فوق
عالم الطبع كله علمٌ وشعورٌ ونطقٌ وبصرٌ

بخلافِ ما في عالمِنا ويعبرون عنهم بالزرار

والرقائق أشباحًا غيرَ ممثلةٍ يسمعون ويعقلون

وينطقون ويعاينون، ولولا ذلك لم يكن اللهُ

ليخاطِبَ مَن لا يعقلُ ولا يسمعُ ولا يبصرُ

ولا ينطقُ فكلُ آدم من هذه الأوادمِ كان

أشَدَّ وأتمَّ وأظهرَ فهو أحق بهذا الاسمِ من

غيره، فآدمُ اللاهوتي الذي يُعَبَّرُ عنه

بالحقيقةِ المحمديةِ، لأنه أشدُّ ظهورًا، فهو

أحقُّ باسمِ آدمَ من الجبروتي، وهكذا إلى آدم

الناسوتي، وبنو آدم في كل رتبةٍ هم ذريته

المنتسبون إليه بلا واسطةٍ نسب. فبنو آدمَ

اللاهوتي: ما في عالَم العقول الكليّة الطولية.

وبنو آدم الجبروتي: ما في عالم العقول العرضية

وهم الصورُ المثاليّة، وبنو آدم الملكوتي،

الصورُ الملكيّة البشرية، وبنو آدم الملكي

ويعقلون

هم المنسوبون إليه بلا واسطة أو بواسطة.
وذرية بني آدم في كل مرتبة ما يليق بتلك
المرتبة وهذه الأوادم وذراريها هم ←
المذكورون في قوله تعالى على ما شرحوا : ←
« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم ». وبقوله سبحانه :
« هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم ». ←
فالرتبة العليا هي الأب، وما صدر عنها الإبن وهو أم
أيضاً « وهو البطن » وما صدر عن هذه الرتبة ولد ،
وبهذا تصير الأم أباً، وولدها في الرتبة أماً، —
وما صدر عنه ابناً ، وهذا ما سماه — الفلاسفة
إفاضات وظلالاً وعكوساً وأضواء وما أشبه، والجميع
بنو آدم اللاهوتي . وقد ورد عن بعضهم أنه حصل
بين العقل الأول — والنفس الكلية تجاذب كالذي
يحصل بين الذكر والأنثى فكان عنهما — عالم النور ،

إشارة إلى فيوضاتِ التكوينِ وهذه من أسرارِ
الرحِمِ وبه شرحوا قولَه سبحانه «واتقوا اللهَ
الذي تساءلون به والأرحامَ». وسيأتيك العجيبُ
الغريبُ من شرحِ الشيرازي للرحِمِ .



## - آدم الآكل من الشجرة -

أجمع الفلاسفة أن قصة آدم وحواء
والشجرة الخ من الرموز المذكورة في الكتب السالفة،
كخاتم سليمان، وهاروت، وماروت وما أشبه.
وهذه الرموز هي للرعاع سمر وقصص . . . .
واعتقادات" وللعلماء مواضيع بحث واستقراء،
فالمراد باسم آدم الآكل من الشجرة هو آدم الملكي
" عالم الإنسان الطبيعي"، فهو آدم الجنس . . . .
والنوع لا آدم الفرد، ويلوح لي أن معنى خلقة حواء
من ضلعه كناية عن التجاذب الجنسي بين الرجل
والمرأة كأنها خلقت منه، وتعريف خلقتها من
الضلع الأيسر كناية عن تياسر المرأة دون . . .
التيامن وسيأتيك عن اليمين واليسار . .

ما تجده حقاً متحققاً واغواء إبليس بإغراء حواء،
هو إغراء القوى النفسية المتضادة للنفس بهذه
المشتهيات المادية وطبعاً إمداد الجميع من إبليس
الأبالسة المخلوق من نار الأنفة كما مرّ وسيجيء
وقد يُخَيَّل إليّ أن كلّ ما به إغراء هو الشجرة،
وكلّ داع للإغراء هو حواء، وكلّ مُغرى هو آدم،
ولا تضيق إحاطة القرآن الكريم بهذا الشرح
وهو معقول أيضاً. وجنة عدن المهبوط منها هي
الصفاء والإطلاق، والهبطة هي التقييد —
بالأخلاط الطبيعية. والملائكة المخاطبون بقوله
سبحانه: ”وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة“ هم الأرواح قبل الهبطة،
يقول إني أهبطكم إلى الأرض تلبسون الأجسام
البشرية، وأجعل كلّ واحد منكم — خليفتي في

أرضي» فقالوا جوابًا على ذلك .. أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها ويسفك الدماءَ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي بعد كوننا نورانيين نُسَبِّحُ ونقدس، تُلبسُنا الأجسامَ الطبيعيةَ. نُفْسِد في الأرض ونسفك الدماءَ. وشرح الإمام الصادق (ع) أنَّ هذا الفسادَ في الأرض هو اتهامُ الأنبياءِ بالسحرِ والكهانةِ. فردَّ عليهم سبحانه على وجهِ التجهيل: إنّي أعلمُ ما لا تعلمون، كأنه سبحانه يقول إنكم لا تعلَمون الحكمةَ في لبسِ الأجسامِ، ولا معنى استخلافِكم ولا ما تنالون من النعيمِ الأبدي والصفاء الجوهري الذي هو موقوفٌ على هذه الهبطةِ. لمحتُ هذا في كثيرٍ من الروايات، ومن شرح الرحيم للشيرازي،

وما وَرَدَ عن الإمامِ الصادق (ع). من أن اللهَ

سبحانه خاطب الملائكة بهذا الخطاب، ولم تكن الملائكةُ أهلاً لذلك، وإنما خاطبهم ليفهمَ الآدميون، فأجابتِ الملائكةُ على لسانِ الآدميين بقولِهم: أتجعلُ فيها من يُفسِدُ فيها... الخ، أي أنَّ الآدميين هكذا يكونُ جوابُهم، وهذا معناه أنّ إيقاعَ ما بالقرآنِ من المعصيةِ بآدمْ فإن المقصودَ به آدمُ النوعِ والجنسِ لا آدمُ الفردِ، وإنباءُ آدم الجنسي إيّاهم بأسمائِهم، واستخلافُ الله إيّاهُ على ما في الأرضِ والسماءِ وتعليمُهُ جميعَ الأسماءِ، هو جمعُه المجموعاتِ السماويّةِ والأرضيّةِ منْ سائرِ أسماءِ الله وصفاتِه الدالّةِ على أفعالِه بتكوينِه من العقلِ الفعّالِ إلى النفسِ الكليّةِ إلى الحيوانِ والنباتِ والمعدنِ إلى عالَمِ الجِنّةِ والشياطينِ وأضِفْ إلى ذلِك قدرتَه على التصرّفِ بجميعِ ما في عالمِ الكونِ والفسادْ، حتى سموهُ رَبَّه، . . . . .

وسيأتيك عن شرفِ الإنسانِ ما تستحليه

إن شاءَ اللهُ ، وهذا لا يغاير ما شرحوا به قوله

سبحانه « وإذْ قلنا للملائكةِ اسجدوا لآدمَ

فسجدوا إلا إبليسَ » وعلى ما أرى أن آدمَ هنا

يشملُ الآدميينِ آدمِ اللاهوتيِ وآدمِ الناسوتيِ ...

فإذا أُريدَ بالسجودِ الرضا بالأخلاطِ الطبيعيةِ

وهو السجود لآدمَ النّاسوتيِ كانتِ الأنفةُ منها

هو الامتناعُ من سلوكِها وهو ردُّهم على الله ،

وهذا الردُّ أراه بلسانِ الحالِ لا لسانِ المقالِ بأن

يبقيهم روحانيّين يسبّحونَ ويقدّسونَ . وإذا

أُريدَ آدم اللاهوتي أو قُلِ المتجلّي لمثالِ المَثَلِ

المضروبِ من الحمأِ المسنونِ ، فسجودُ .....

جميعِ الملائكةِ إلا إبليس هو أنه بعدَ لبسِ الأرواحِ

هذه الأبدانَ تسجدُ جميعًا إلاّ إبليس المتفرّقَ في

الجميع. ومن المعلوم أنّ لكلّ نشأة آدمَ،
والنشآتُ كثيرة فالأوادمُ كثيرون. وحيث كتبنا
عن آدمَ وأكلِهِ من الشجرة ما ظننّاه كافياً، نكتُبُ
عن الشجرة لأنها هي عنوانُ الهبطة وموضوعُها
، وبمعرفتها الركنُ الأوْلى من أركانِ الهبطة. قالوا
ما معناه إنّ لفظَ الشجرة في القرآن الكريم في
مثلِ قولِه سبحانه :«شجرةٌ تنبتُ بالدهن وصبغ
للآكلين». ومثلِ قولِه جلّ جلالُه :«مَثَلُ كلمةٍ
طيّبةٍ كشجرةٍ ← طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في
السماءِ تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ ← بإذنِ ربِّها»
ومثل قوله تعالَتْ ذاتُه: كشجرةٍ خبيثةٍ
اجتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ ما لها من قرار» ومثل
قولِه: «شَجَرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيمْ طَلْعُها
كأنه رؤوسُ الشياطين» كلّ هذا وأمثاله من

الرموزِ والإشاراتِ التي تلفتُ إلى ما وراءها من الأسرارِ. فأينَ هي الشجرةُ التي تؤتي أُكلَها كلَّ حينٍ؟ وأين الشجرةُ التي تخرجُ في أصلِ الجحيم؟ وشجرةُ آدمَ من هذهِ الأشجارِ، ولذلك اختلفت الرواياتُ عن أصلِها ما هو فقالوا: تينٌ، وقالوا: عُنّابٌ، وقالوا: حِنطةٌ، وقالوا: تفاحٌ الخ..

وقد أُوِّلَتْ عن فلاسفةِ الدينِ تأويلينِ صادقَينِ. أوّلهما أنّها ولايةُ مَن نادَوْا اللهَ وكذّبوا رسُلَه بها الأوليائِهم من المزخرفاتِ والتأويلاتِ الباطلاتِ. وثانيهما هو سِرُّ اللهِ الذي من تناولَه بغيرِ إذنٍ من اللهِ لقيَ الطردَ من رحمةِ اللهِ. وقالَ بعضُهم وأجادَ: إذا أُريدَ بالشجرةِ النَّفسَ الإنسانيةَ ارتفعَ الاختلافُ بتعددِ الشجرةِ إلى أنواعٍ، لأنَّ النفسَ الإنسانيةَ شجرةٌ"

لـها أنواعُ الثمارِ والحبوبُ وأصنافُ الأوصافِ والخصالِ، فهـذه الأشياءُ إن لم تكن موجودةً فيها بأعيانها، فهي موجودةٌ فيها بحقائقِها، فما وُصفت به من الحبوبِ والثمارِ أو العلومِ فهو بيانٌ لبعضِ شأنِها. واختلافُ شروحِها بأخبارِهم يدلُ على أنَّها من الرموزِ فقد وَرَدَ عنهم علينا سلامُهم: أنّها علمُ آلِ محمدٍ «ص». وأنّها آلُ محمدٍ «ص». وأنّها شجرةٌ تميزت من بين سائرِ الأشجارِ بأن كلاً منها يحمِلُ نوعًا من الثمارِ، وكانت تحملُ البُرَّ والعِنبَ والعنّابَ والتينَ وسائرَ الأطعمةِ، فلذلك اختلفتِ الأخبارُ عنها. وقيلَ: منها كانَ يأكلُ النبيُّ «ص»، وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ، فلا يحسّونَ بجوعٍ ولا عطشٍ، وهي الشجرةُ التي مَن تناولَ منها بإذنِ اللهِ أُلهمَ عِلمَ الأولينَ والآخرينَ من غيرِ تعلُّمٍ، ومَن تناولَ منها بغيرِ إذنٍ خابَ وعصى اللهَ،

فيكون هذا التغاير بالتأويل كما شرحوا —
الأمـــانة والجنة والنار وما أشبه، وكلها
صحيح. فيكون على هذا هبوط آدم من الجنة، من
إغواء إبليس بإغراء حواء، هو تطلعه لمعرفة أسرار
لا يجوز له معرفتها وقد ورد ذلك: أو م كل منها
بغير إذن من الله. وربما كان هذا شرحًا لقولهم
عند ما قال الله لهم: إني جاعل في الأرض خليفة
، واعتراضهم بقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء، ونحن ← نسبح بحمدك
ونقدس لك. فطلبهم البقاء هناك، واعتراضهم
على أمر الله سبحانه، تطلع لما ليس لهم.



## - الزمان والمكان -

وبعد أن ذكرنا معاني آدم المنوعة،
وعرفنا من هو آدم الهبطة الآكل من الشجرة، وعرفنا
ما هي الشجرة، أراني مجبوراً إجباراً على تعريف
الزمان والمكان لنرى أين كانت الأرواح قبل
الهبطة؟ وكيف معنى الهبطة، فإن الزمان
والمكان يشملان ناحية من نواحي الهبطة.

## الزمان

إن الزمان ليس هو - على رأي أفلاطون - إلا صورة
متحركة للأزل، فكل ما يمكن أن يقال على الأزل إنما
هو موجود فليس له بالنسبة إليه ماض ولا حاضر

ولا مستقبلٌ، إنّهُ أبديٌّ ، حاضرٌ لا يمكن حصره.
إن الماضيَ والحاضرَ لا يأتلفان إلا مع الكون ←
الذي تتعاقبان عليه في الزمانِ ، وانهما محلُّ الحركة.
أمّا أنه ثابتٌ كما هو موجودٌ فلا شيءَ يقيسُهُ ولا شيءَ
يستنفِدُه وإمّا الزمانُ فعلى الضدِّ من ذلك قد
ابتدأ مع العالم عندما خلقَ اللهُ العالمَ — وَوَضع له
نظاماً عجيباً إنّما هُو مشاهدة الليلِ والنهارِ ، إنّما
هو دورانُ الشهورِ والسنين التي كوّنتِ العددَ
وقدّمت لنا مبدأَ الزمانِ وصيّرتْ دراسةَ العالمَ
ممكنةً فليس الزمانُ إذاً إلّا جزءاً من الأزلِ نفصلُه
عنه لموافقةِ استعمالِنا لكن في الأزلِ نفسِه —
ليس بعدٌ من زمانٍ ، لأنّ الزمانَ ليس إلّا متحداً معهُ
في حين أنّ الأزل هو مُتحِدٌ بوجهٍ ما مع اللهْ ، وقال
نيوتن : إن اللهَ ليس — الأزلَ ، كما أنه ليس
اللّانهايةَ ، ولكنّهُ أزليٌّ ولا متناهٍ ، فالزمانُ ......

بالنسبة له غير موجود، وليس موجوداً إلا —
بالنسبة لنا، إنّ الأزلَ إلهيْ، ولكنّ الزمان
إنساني محضْ، إنّه لايناسب إلا ماله أوّلْ،
- ويمكن أن يكون له آخرْ وليس للأزلِ بدايةْ
ولانهايةْ. وقد حدّد بعضهم الدهرَ والزمانَ بأنّ
الدهرَ هو إشارةٌ إلى امتدادِ وجودِ ذاتٍ من الذواتْ
وهو ينقسمُ إلى قسمين أحدهما مُطلقْ - والآخر
بسيطْ، فإذا فُهِمَ منه وجودُ ذاتٍ ذي نهايةٍ،
فهو الدهرْ، الذي بالإضافة، وهو المسمى بالزمان
لأنّهُ عددُ حركةِ الفلكْ أو أنّه مُدّةْ
تعدّها الحركةْ.

## المكان :

وقد حدّدوا المكان بأنّه الجسم الحاوي للجسم المحوي
ولا يختصّ بالجسم المادي وقد تعلمُ أنّ الأفلاكَ

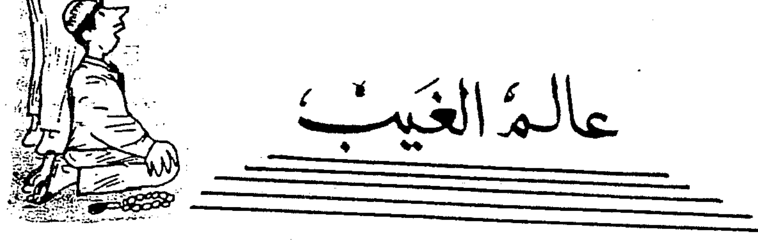
جميعها كل فلك محيط بما دونه وحامل له .
وكل شيء محيط بشيء آخر وحامل له فهو مكان
له سواء كان هذا الحمل والإحاطة ما دييين أو
معنويين ، وقد سُمّي العقل الأول بالمكان لأنّه
مكان لتجلي ـــــ أسماء الله وصفاته . أتى
« بالجامعة » مؤلفاً بين اختلاف آراء العلماء في
أوّل الايجاد فقال : اختلفوا في ألفاظه واتفقوا
في معانيه . فمنهم من قال القلم واللوّح ، ومنهم
من قال القبض والبسط ، ومنهم من قال الزمان
والمكان ، ومنهم ومنهم . فالّذي قال الزمان والمكان
إنمّا عنى بالزمان العقل إذ هو زمان الأزمنةِ
ودهر الداهرين وعنه بدأ أول الحركة وعنى بالمكان
النفس الكلية إذ كانت مكاناً لما يُلقي إليها العقل
من فوائدهِ ، وعند الإلهييّن الدهر هو الحقّ الأول
سبحانه . ولذلك قال الرسول « ص » :

«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» وأنتَ تعلم
أنّ الكلمة تؤول بقرينتها أكثر مما تؤول بنفسها ،
وأحسب أن معنى قولهم ليس للدهر والزمان
ماضٍ ولا حاضر ولا مستقبل بالنسبة إليهما
وبنسبة الماضي والحاضر إليهما بحسبنا فقط ، هو من
قبيل أن الوجود المطلق بنفسه لا ماضٍ لديه
ولا حاضر ، وإذا تنزّل لظاهر في المحسوس شمله
الماضي والحاضر والمستقبل ، وهو معنى كلام
الموالي الكرام عن التجلّي الإلهي ولعل هذا ما
أراده الأمير السنجاري بقوله :

- له الدهر آنٌ والزمانُ الذي انتهى
إليه بحدّيهِ لوصلٍ به فصلُ .

وإذا علمت أن الأزل هو القِدَم الذي ليس له
ابتداء مع استمرار الوجود في أزمنة متعدّدة غير
متناهية في جانب الماضي وأنّ الأبدَ هو استمرار

الوجود في المآل، وإن السرمد يجمع الأزل والأبدْ علمتَ معنى قول بعضهم، وما أحسنه من قول: أنّ الأيامَ والشهورَ الزمانية التي هنا صورة للزمان، والزمانُ صورة للدهرِ، والدهرُ صورة للسرمدِ، والكل ظهور شمسِ الحقيقةْ.



## عالمُ الغيبْ

وحيث حدّدنا الزمانَ والمكانَ بما أظنّه تحديدًا مغنيًا للمعرفةِ أين كانت الروحُ ومن أين أتت؟ رأيتني أضطر اضطرارًا لمعرفة عالم الغيبْ وأين هو من الزمانِ والمكانْ لأنّ الأرواح هبطت منه إلى هنا، فيتّضح لنا به شيء من أسرار الهبطةْ حدّدوا الجواهر الروحانيّة

«عالم الغيب» بأنها لا تركيب فيها ولا تغاير ولا تخالف ولا تباين إلا بالقرب والبعد معنوياً من الباري سبحانه لأنها خارجة عن الزمان مستغنية عن المكان وذلك لظهور الوجود المطلق فيها، ولشدة خفاء ماهياتها الشدة صفائها وانكشافها لأنفسها وانكشاف غيرها لها، فهي ليست بذات أعضاء متمايزة وآلات متغايرة، بل واحدهم كله سمع وشعور ونطق وعلم وحياة وما أشبه، علمهم عين عقلهم، وعقلهم عين شعورهم واستعدادهم عين تعلمهم، وتعلمهم عين استعدادهم أنوار مجردة قاهرة، وهذه الأنوار العرضيات ظلالاً لها وقد علمت من مطالعاتي عن كيانهم ومكانهم أنهم طبقات ورتب حيث لا تحت ولا فوق، ورتباً حيث لا علو ولا سفل وأشخاص حيث لا تباين ولا تفرقة، إنهم قلم الله ولوحه ومداده

وكلماته، غير أنّهم قلمٌ ولا رقمْ، ورقمٌ ولا لوحْ ولوحٌ ولا كتابةْ، وكتابة ولا حروفْ، وحروف ولا كلماتْ، وكلمات ولا نطقْ، ونطق ولا أصواتْ، توحّد مع التجزئة التامّةْ، وتكثّر مع الوحدةِ المجرّدةْ مكانُهم الإطلاقْ، وزمانهم البساطةْ ودهرهم التجرّدْ لكلٍّ منهم الإحاطةُ بما دونه — والإشراقُ عليه بما يكسبه الحياة الدائمة والعلم المحيط. وربّما أراد الشاعر هذا بقوله: فذلك النور أشخاص مفرقة في أيّما صورةٍ أبصرته حسنا، لكنه صمد تعنو الوجوه له والعين تدرك منه قدر ما مَنَنَا، وأرى أنّ مثل ذلك في العالم المحسوس البدن الطبيعي الإنساني فإنه متوحّد غير متجزئْ ومتّصلٌ بعضه ببعضٍ غير منفصلْ، ومع هذا — فالتجزئة (سدوته) (والإنفصال لحمته) كلُّ عضوٍ من أعضائه ينفرد بعملٍ خاصٍّ: العينُ للنظرْ، والأذنُ للسمعْ، واللّسانُ للنطقْ واليدُ للعملْ، وهكذا

القلب والدماغ والأمعاء وسائر أعضائه، لاتقوم العين مقام الأذن، ولا اللسان يغني عن السمع، ولا اليد تنوب عن الرجل وحدة تامة، وتجزئة عامة، ولعل هذا أحد معاني قولهم الكونات إنسان كبير، والإنسان مكوّنات صغيرة، ولعله أيضاً من معاني الوحدة التامة التي تشمل الكونات المتجزئة.

## - الإنسان وعظمته -

وحيث حددنا عالم الغيب التي كانت الروح ولم تزل بعض أشخاصه رأيت أنه يجب عليَّ أن ألم المامة عابرة بتكوين الإنسان البشري وماله من الشرف الكياني والعظمة الروحانية للعلم بأن الإنسان جوهرة لطيفة وصدف هذه الجوهرة الكونات بأسرها من العرش إلى الفرش، السماء تظله والأرض تقله،

والأفلاكُ دائرةٌ به، والشمس والقمر ميزان لما هو فيه، فهو لُبابُ الكون ومجمعُ الوجود، روحه متصلةٌ بعالم الجبروت، وله مثالٌ في عالم الملكوت، ضاق عنه الكون من حيث روحانيّتُهُ، ولئن وسعه من حيث جسمانيّتُهُ ولمّا انحصرت روحه مع إطلاقها في هذا الهيكل، انقهرت فانحجبت بالحكمة، وتقيّدت بالقدرة، فإذا مالت للشهوات ظلت بحجابها، وإذا توفّقت لخرق هذا الحجاب اتصلت بأصلها، فحينئذٍ لم يسعها أرضٌ ولا سماءٌ ولا يحويها عرشٌ ولا فرش.

قال الأمير السنجاري:

والفلكُ الأطلسُ لي مركزٌ  بهِ محيطٌ منيَ التربُ

وأغرب ما قيل عنه أن العرش هو العالم الكبير، وهو محلّ استواء الرحمن «الرحمن على العرش استوى» والإنسان هو العالم الصغير وهو محل استواء الله،

لأنّ اللهَ خلق آدمَ على مثال صورتِهِ، مع أن الاسم
الذي هو الله مجتمعُ أسماءِ الله وصفاتِهِ، والاسم
الذي هو الرحمن – محلّ ظهور أسماء الله وصفاته .
فالاسم الله أشرفُ من الاسم الرحمن .
فانظر كيف عظم الصغير وصغر الكبير وكلٌّ في محلّه ،
وهذه المعاني هي المُشار إليها بقولِهِ سبحانه كما في
التنبيه » « ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم »
من حيث صورتُهُ العنصريّة الأخرويّة الجامعةُ
« لهم أجر غير ممنون » من حيث حقيقتُهُ، وكيف لا
وهو مخلوقٌ على مثالِ الصورةِ الجامعةِ للصورة
الكلّية ، فهو الجامعُ لجميع المجموعاتِ والظاهرُ بالجميع
والناطقُ عن الجميع بجميع الألسنةِ والمقال، وبالجملة
فالإنسانُ الكامل الجامعُ الحقَ والخلقَ هو الذي يسمع
نطق الوجودِ ويعقلهُ ولا يغفل عنهُ بل قد يغفل عن
صورةٍ دون صورة ، ولا يتصوّر ـــــ منه الغفلة عن

الحضرات كلها معنىً وروحًا ومثالاً وحسًا، فإنّه
بصورته العنصريّة جامع لجميع الصور العنصريّة
وهو ناسوته وملكه، وبحقيقته جامع المعاني
والحقائق وهو ملكوته، وبسرّه - متحققٌ بالحقّ
المطلقْ وهو لاهوته وببرزخيّته جامع بين الإطلاقِ
والتقييدْ، والغيبِ والشهادةْ والملك والملكوتْ
والوجوب والإمكانْ فهو جامعٌ لجميع المجموعاتْ
وهو معنى قول الأمير السنجاري:

- أصبحتُ في الكونِ بلاحيّزِ
وكلّ ما في الكونِ في حيّزي
وخارجُ العالمِ في داخلي
وقدرةُ القادرِ في مُعجزي

وقد أبدعه اللّهُ كما في التنبيه، على هذا الإتقان
العجيبْ مستصلحًا لعمارة هذه الدارْ،
لأنّ الملائكة عقلٌ بلا شهوة، والحيوان شهوةٌ

بلا عقلْ، وكلاهما لا يصلح لعمارةِ هذه الدارْ
والإنسانُ أبدعه الله من المعقولِ والمحسوس،
يعرفُ اللهَ فيشابه الملائكةَ بذلكْ، ويصلحُ
للحرث والنسل فيما يشابه الحيوان الصامتْ.
فما أكملَ الإنسانَ لو عرف قدرَهُ وملكَ أمرَهُ وكتم
سرّهُ، ولم يتعدَّ طورَهُ، ولزمَ مركزَ حقيقةِ الاعتدالْ
وتحقّقَ بحقيقةِ الإطلاقِ في الجمعِ والكمالْ.



# - إتحادُ الكونِ وشرفُ الطبيعةِ -

وحيث تكلّمنا عن الإنسانِ ومكانتهِ وشرفهِ وما آتاهُ اللهُ من الكمال من حيث صورتُهُ وجوهرُهُ للعلم بأنّ هذا الروح الذي ركّبه اللهُ إنساناً أشرف عند الله وأعظم. رأيتني في أمسّ الحاجةِ وأشدّ العوزِ لأن أتكلّمَ عن شرف الطبيعة وعظمتها، ولابدّ لذلكَ من نقل بعضِ ما ورد عن اتحّادِ الكونِ وعظمته وشرفه للمعرفةِ بأنّ اللهَ سبحانهُ لم يُبلِ هذه النفسَ الروحانيّةَ باتحادها بالأجسامِ الطينيّةِ إلاّ رحمةً بها وازدياداً لصفائها وتكملة لنورها وإنّك بمعرفةِ الكونِ ووحدتِهِ مع تكثّرهِ تعلم أنّ هذه الأرواحَ ما خرجتْ عن عالم النور إلاّ إلى عالم النور، وإن كان لابُدَّ من هذا الكثيفِ فإنّكَ إن تحققتهُ

رجع بك إلى أصله اللّطيف. قال المحقّقون:
العوالم ثلاثة: ملكٌ وملكوتٌ وجَبَرُوتْ. فالملك
ما يُدرَكُ بالحسّ والوهم، والملكوتُ مايدُرَك بالعلم
والفهمْ. والجبروت مايدرك بالبصيرة والمعرفة.
وبالحقيقة إن هذه العوالم الثلاثة هي الوجود أجمعه.
والوجود عندهم واحد، ولكنّه قسمان، قسمٌ لم يدخل
التكوينْ الكثيف وهو عالم الغيبْ، وقسم دخله وهو عالم
الشهادة، ولكن كل ما كان بذاته خفياً في عالم
الغيب ظهر بذاته في عالم الشهادة، ولولاه لم يكن عالم
شهادة. فمن نظر إلى ظاهر التكوين الذي تستّر بالحكمة
وتكثّفَ بالقدرة سمّاهُ ملكاً ومن نظر إلى أسرار
معانيه القائمة بالجميع سمّاهُ ملكوتاً، ومن نظرَ
إلى الأسرار الأزليّة الفائض عنها الجميع سمّاه جبروتاً
فكلّ ما ظهرَ في عالم الشهادة فهو فائض عن عالم
الغيبْ، وكلّ ما برزَ في عالم الملكوت فهو فائضٌ

عن بحرِ الجبروتِ فلا وجودَ للأشياءِ إلاّ منه ولا قيامَ إلاّ بهِ. ومِنْ أغربِ ما يُستغربُ وأعجبِ ما يُتعجبُ منهُ تحقيقُ وشرحِ الشيرازي لأحاديث الرّحِمْ التي أتت عن النبي «ص» بقولِهِ: «إن الله خلق الخلقَ حتى إذا فرغ منهم قامت الرحمَ فأخذت بحقوي الرحمنْ. فقال: مَهْ. قالت: هذا مقامُ العائذ بكَ من القطيعةْ. فقال: نعمْ أما يُرضيكِ أن أصل مَن وَصَلَكِ، وأقطعَ من قَطَعكِ. فقالت: بلى». والذي أتى عن الرسول «ص»: «أَنا اللهُ الرحمنُ، خلقتُ الرحمَ وشققت لها اسماً من إسمي، فمن وصلها وصلتُهُ ومن قطعها قطعتُهْ». وبقوله «ص» مشيراً إلى أسرار الرّحم: «إن الرّحم شجنةٌ مِنَ الرّحمن» أنقلُ لكَ شرحَ الشيرازي إيّاها — محتفظاً بالمعنى مختصراً من اللّفظ مضيفاً إليه ما لابدّ منه ليُفهم معناهْ. قال قدسه الله: «الرحم

إسمٌ جامعٌ لحقيقةِ الطبيعة، لأنّ إسم الرّحم مشتقٌّ من الاسم الرّحمن، والرّحمن مظهر الأسماء والصفات، والطبيعة هي الحرارةُ والبرودةُ والرطوبةُ واليبوسةُ وهي الطبيعة المطلقة النوريّة، وتَعَلُّقُ الرحم بالعرش هو أن جميع عالم الأجسام «وهو عالم النور» وعالمنا يسمى عالم الجسمانيّات إذا قُرن إلى عالم الأجسام عند المحقّقين طبيعة واحدة، والعرشُ أوّلها، وأمّا أنّ الرحم شعبة من الرحمن فلأن الرحمة هي ذات الوجود المطلق، وأنت تعلم أنّ الرحمة الرحمانيّة هي التي قام بها الوجود بأسره والرحمة الرحيمية هي التي قام بها الوجود المحسوس فقط. وهذا من معنى قولهم الرحمن الرحيم إسمان رقيقان أحدهما أرقّ من صاحبه. والوجود حقيقةٌ لكلّ محسوسٍ ومعقولْ والمحسوسُ لأنه مقيّدٌ يقابلُ بتقييده الوجودَ المطلقْ

فيكون له بهذه المقابلة نوع من الوجود ولكنّ
وجوده بغيره لا بنفسه « أي وجوده بالوجود
المطلق، والوجودُ المطلق وجودُهُ من نفسه لنفسه
بنفسه ». ولأنّ الرحمنَ هو الاسمُ الجامعُ لجميع
مراتب الوجود، ومراتبُ الوجود هي عالم المعاني،
والأرواحُ والأجسام « أي رتب عالم النور »، وله العلو
عليها وهي النصف الأول من صورة الحضرة الالهيّة
« هو الهيولى وكل الخلق صورته » « الكون جسم
وهي فيه روح » والنصف الثاني من صورة الحضرة
الالهية، وهو عالم الطبيعة المقيّدة، وهذا لانَّ من
(الحقو) فصاعداً يوجدُ القلبُ والصدر والرأسُ بما فيه
كناية عن عالم الأنوار. ومن (الحقو) فنازلاً مبدأ
الكثرات ومحلّها وهو عالمنا، فالكوّنات صورةٌ للّه
جلّ جلاله عن الصورة والتصوير، وأنت تعلم
أن الوجودَ المطلق هو الذي نوّع الكائنات على ما هي

عليه ، فبهذا كانتِ الكائناتُ صورتَهُ ولذلك أنفت الملائكة من السجود لآدم لأنها رأت كيانها النوري، وكيانه الطبيعي ، فأثنت على نفسها وذمته بما حكاه سبحانه بقوله : « أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ.. الخ » واستعاذة الرحم من القطيعة هو أنه لمّا شعرت بانفصالها عن مقام الوحدة بترتيب المراتب ، خافتْ من البعد فوعدها اللهُ سبحانه أن يصلَ مَنْ وصلها ويقطعُ من قطعها فاطمأنتْ ولولا المزاجُ الطبيعيُّ الذي ذمته الملائكةُ لم ينفرد الروح الإنساني عن عالم الغيب بل كان بقي مُضمراً في عالمِهِ ، ولم يكن ليجمع في وجوده مَا بين الكليّاتِ (عالمِ الأنوارْ) والجزئياتِ (عالمِ الحسْ) فبنشأتِهِ المادّية وما أودع اللهُ بها من الكمال الروحاني ، وخلط بها من الأركان الأربعة تحقّق له مقامُ البرزخيَّةِ بين عالمِ النورِ وعالمِ الظلمة

وأمّا قطعُ الرحم الذي خافت منه فهو ازدراؤها ★★
بظهورها في عالم الطبيعة المحسوسْ، ومن ★★
جملة ازدرائها ذمُّ متأخري الحكماءِ للطبيعة وطلبهم
الخلاص منها، مع أن الكمال الذي يتطلبونه لم يكن
إلاّ نتاجَ صحبتها ومنها إلى لطائفها النورية –
وحقائقها الملكوتية إلى رؤية الله التي هي أعظم نعم ★★
اللهِ وأجلّها. أوصى بعض العارفين تلميذه فقال:
يا بني إذا سريت بفكرك في عالم المعاني انحجب سرك
عن التلذذ بالمغاني، وإذا سرى حسك بالمغنى ★★
انحجب سرُّك عن مشاهدة المعنى. فالبقاء مع
الحسِّ أولى في الآخرة والأولى، وسيبيد ولك شرف
الحس عند الرؤية في جنّةِ المنية» وقال بعضهم:
ولطف الأواني بالحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني ★
بها تنمو وقيام الرحم وتعلقها بحقوي الله عبارة
عن توجه الطبيعة إلى اللهِ بصفةِ الذلّةِ التي به قوامها.

فيلبس الأرواح هذه القمص البشرية أصبح ★★
الإنسان برزخاً بين عالم النور وعالم الظلمة، وبين
الوجوب والإمكان، وقال غيره: " الإنسان له ★
جهتان، جهة مضيئة إن صقلها بالأعمال الصالحات
متوجهاً إلى الله تمثل بها كل ما قابله جبلاً كان ★
أو جملاً، وإن اتجه إلى الجهة المظلمة قادته المادة
وانحجب عن عالم الغيب، وإن وفقه الله ★★
واستعد وجهه المظلم لقبول الفيوضات الإلهية
انطبع فيه أيضاً كل ما يقابله فيرى الآخرة أقرب إليه
من أن يرحل إليها بل تكون هي الراحلة إليه، وتظهر
له ظلمة محاسن الدنيا بفنائها، فحينئذ يكون ★★
عنده الباطن ظاهراً والظاهر باطناً، واللطيف كثيفاً
والكثيف لطيفاً لأنه يتجلى له عالم الغيب المجرد،
ويضمحل بعينيه عالم الشهادة المحسوس
بعلمه أن لا وجود له على ما هو عليه إلا ★

بالسرّ الساري به وهو الوجود المطلق.

## ـ الشرُّ هل وجودُهُ بالذّاتِ أم بالعَرَضْ ؟

ووجدتُني في أشدِّ الاضطرارِ وأمسّ الحاجة لمعرفةِ ـ هل الشرورُ موجودة بالذّات أم بالعرضْ ، أي ليست بذات كيانٍ خاصّ لأنّ تبلبل الأفكارْ من جهة الهبطة هو الاعتقادُ أنـهّا شرٌّ محضٌ بلبس الأرواح هذه القُمُصْ البشريّةْ وتقلبّها بآلامِها وتنقلها بين متضادِها كغنىً وفقرْ وصحّة وسقم، وعلم وجهلْ ، وموت وحياة وما أشبه بعد أن كانت نوراً شفافاً دراكاً لا أوجاع ولا أسقام ولا آلام وتضاربت أقوال الفلاسفة والعلماء ، واختلفتْ آراؤهمْ بتحديدِ الشرورِ فمنهم من حمل على الله حملةً منكرة لأجلها . فكانت إما سبباً

لإنكار وجود الله سبحانه أو لاعتقاده الجبر أو لقوله بإلاهين اثنين للخير والشر. وما أشبه هذا التغاير. ولكن الفلاسفة المحققين والعلماء الالهيين حللوا وجود هذه الشرور تحليلاً دقيقاً أحالوها به إلى العدم فقال بعضهم: إن ما في العالم من الخير والشر لا يخلو بحسب القسمة الحاصرة العقلية من خمس صور، إما أن يكون خيراً محضاً، أو شراً محضاً، أو غالب الخيرية — أو غالب الشرية أو متساوي الطرفين. ولكن البحث والاستقراء يشهدان أن جميع ما في العالم اثنان فقط إما الخير أو غالب الخيرية وليس فيه شيء واحد من الثلاثة الباقية أبداً، ولكن بعضهم جمع الشرور جميعها في ثلاث دوائر ولا أراها تخرج عن رأي هذا الفيلسوف

الدائرة الأولى: الشرور الإمكانية. الدائرة الثانية: الشرور الطبيعية. الدائرة الثالثة: الشرور العلمية. والحق إن الشرور بأجمعها لا تخرج عن هذه الدوائر

الثلاث غير أنّني لم أرَ تفصيلهم إيّاها كافياً لأنْ يجعلها بذاتها عَرَضيّة تبرىء ساحة عدل اللّهْ وحكمتِهِ من نقص الظلمْ والجورْ فلذلك أقتضبُ من شروحهم وأضيف إليها ماا قتبستهُ من محكَمِ آراء الموالي الكرام المعصومينْ.

الدائرة الأولى:

الشرور الإمكانيّة والنقائص الذاتيّة الملازمة لطبيعة الممكن من حيث إمكانِهِ ونقص كيانه:

وهي ما يصيب الانسان من أمراض وأسقام ونوازل وآلام وما شابه، أو ما يصيبهُ من غيرهِ من متنوّع الشرور، فإنّ كل ذلك لايجوز أن يتعدّىٰ أحد أمرين، إمّا استحقاق الإنسان ما وقع به ممّا فعله مع أخيهِ الإنسان أو ممّا جبره التعاون بمقتضيات الحقوق الإلهية بمسنون الشرع الشريف، فبكلتا الجهتين هي خير محضْ، لأنّهُ إن كان المصاب بها مؤمناً، فجميع ما يصيبه من جميع الشرور هو تكفير

لذلاته، وحطّ من سيئاته، وإن كان كافراً كان جميع ما يصيبه من أنواع الشرور انتقاماً منه على سوء أعماله وخبث حركاته و مغالبته النواهي الإلهية وعصيانه الأوامر الشرعية، فهذه الشرور كما ترى هي خير محض لأنها لم تتعد طور العدل وحكم المجازات على الأعمال كما ورد: النوازل بالمؤمنين كفّاراتٌ وطهاراتٌ، وبالكافرين زلّات وانتقام.

الدائرة الثانية: وهي الشرور الطبيعية: كالحيوانات المفترسة من جوارح الطير وسباع البهائم — وكالحشرات السامّة والنيران المحرقة والمياه المغرقة والزوابع الممزّقة وما أشبه. فهذه الكائنات خير لأنفسها وبأنفسها وقد قيل وما أصدقه من قول:

لو كان السم شرًا بذاته لقتل العقرب قبل كل شيء

ولو كان السلاح شرًا بذاته لقتل حامله قبل كل أحد لا بل هو خيرٌ محض للنوع أيضاً بما يترتّبُ —

عليه من منافع . فلولا هذه الكائنات المترتب على
وجودها نوعٌ من الشرور لم يتمّ نظامُ الكون
ولا سُددت حاجاته فخيرها إذًا بالذات وشرّها
بالعرَضْ . ولذا اتفق أكثر الحكماء على أنّ الوجود

خيرٌ محضٌ ، والشرورُ أعْدامٌ ، ومَعَ
هذا فهل ترى أنّ اللهَ سبحانه
يبتلي الإنسانَ بنوازلَ وأمراضٍ
وبلايا وويلاتٍ ، إلا بعدَ الاستحقاقِ
إنه أعدلُ من ذلك ؛ لم تَكُنْ
حيةٌ امْرأً ، ولم يفترسْ
سَبُعٌ شخصًا حتّى ولم يَعرِض
ما يُخيف ، أو يَسَرَ ما يعذّبُ
إلا كان مُكفِّرًا عن زلةٍ أو مغْسِلاً
مِن سيّئةٍ ، أو قائدًا إلى اللهِ سُبحانَهُ

لأنَّكَ عِندَ ما ترى ما يَقشَعِرُّ
له بدَنُكَ ، أو يقِفُّ منه شَعْرُكَ
تَرجعُ مُرْغَمًا إلى استنهاضِ قوةٍ
تُنْجيكَ مِن هذا الهَولِ وتَمنعُ
هائِلَ هذا الشَّرِّ ، فهٰذِه
الشرورُ بأجمَعِها ، وتبايُنُ صُدورِها
واختِلافُ مظاهِرِها ، إنْ وقعَتْ
بالمؤمِنِ ، فَكُلُّها قائدٌ إلى اللّٰهِ ،
ومطَهِّرٌ مِن خُطايا ، وما يَقُودُ
إلى اللّٰهِ ، ويُطَهِّرُ مِن خَطايا
وآثامٍ ، لا يكونُ شرًّا .. ......
وإنْ كانتْ بِمَنْ عَطَّلَ الشَّرائِعَ
وارْتكبَ المحَرَّماتِ ، وناهَضَ
الحَقائِقَ ، فعَدْلُ اللّٰهِ سُبحانَه

ولا أراك بعد هذا إلا عالماً
موقناً أن هذا الشر خير
بذاته، وإن ترتب عليه شر بالعرض

الدائرة الثالثة: وهي شرور العلماء، وهي الطامة الكبرى والبلية العظمى، بما يضلون به البشر من زخاريف علمية وأباطيل فلسفية ومعميات أدبية بتعطيلهم الشرائع الإلهية والنواميس النبوية، بتأويلاتهم الخسيسة، وشروحهم الدنسة وحملهم فقراء العقول وضعاف المعرفة على اتباع أضاليلهم والسير على زيغ أباطيلهم، فوجود هؤلاء المضللين رحمة إلهية وحنان سماوي، لأن الله سبحانه بعظيم إحسانه، وعميم امتنانه، وبديع حكمته، خلق المتضادات وأوجد المتغايرات من محسوس ومعقول ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، وتحل هذا المشكل، وتريح من هذا المعضل،

كلمةُ أميرِ المؤمنين (ع) : «إنّما بَدْءُ وقوعِ الفِتَنِ، أهواءٌ تُتَّبَعُ وأحكامٌ تُبْتَدَعُ، يُخالَفُ فيها كتابُ اللهِ ويتَولَّى عليها رجالٌ رجالاً، على غيرِ دينِ اللهِ، فلو أنَّ الباطِلَ خَلَصَ مِن مِزاجِ الحقِّ لم يَخْفَ على المُرتادين، ولو أنَّ الحقَّ خلصَ مِنَ الباطِلِ، لانقطعَتْ ألْسُنُ المعانِدين، ولكن يُؤخَذُ مِن هذا ضِغثٌ ومِن هذا ضِغثٌ فيمتزجانِ، فحينئذٍ يستولي الشيطانُ على أوليائِهِ، وينجو الذين سَبقَت لهم مِنَ اللهِ الحسنى» ليَميزَ اللهُ الخبيثَ مِنَ الطيِّبِ، ويجعل الخبيثَ بعضَه فوقَ بعضٍ فيركمه في نارِ جهنّم.»

هذا على ما أراهُ سِرٌّ مِن أسرارِ القبضتَين، لأنَّ الخيرَ والشرَّ آثارُهما ولِما تقدَّمَ كانَ خِطابُ الأنبياءِ والكُمَّلِ مِنَ الأولياءِ — إمّا مَثَل أو رمْز أو إيماء أو إشارة ليكونَ الوصول إلى

الحقيقةِ مِن وراءِ آلافِ المعاني، ما للهِ سِرٌّ إلا وهو على ألْسِنةِ خلقِهِ، ولا له حصنٌ أمنعُ مِن جهلِهم به، وهذا لا يتنافى مع شرحِهم إيّاه بأنه تحضيضٌ على سَترِ سِرِّ اللهِ قالَ الإمامُ زينُ العابدين عليه السّلامُ:

- علمُ المحجةِ واضحٌ لمريدِهِ وأرى القلوبَ عن المحجةِ في عَمَى
ولقد عجبْتُ لهالكٍ ونجاتُهُ موجودةٌ، ولقد عجبْتُ لمن نجا

ولقائلٍ أن يقولَ: وَرَدَ أنّ اللهَ خَلَقَ الخيرَ والشرَّ فكيفَ هذا، وما معناه؟ وهل مِن فاعلٍ إلا اللهُ؟ نعم إنَّ اللهَ خلقَ الخيرَ والشرّ، وكلُّ المفعولاتِ مفاعيلُهُ، غيرَ أنك ربّما تُجمِعُ معي — على أنَّ الإفاضاتِ الإلهيةَ التي أفاضَها ويُفيضُها على عبادِهِ جميعًا، كلُّها نوعٌ واحدٌ، كما أنَّ مصدرَها واحدٌ، ولكن اختلافات الاستعدادت تحيلها

وتكيّفها إلى أنواعٍ شتّى ذاتَ مفاعيلَ شتى

كنورِ الشمسِ يختلفُ لونُهُ وحرارتُهُ باختلاف

ما يقابلُهُ، فباختلافِ ألوانِ الزجاج، وباختلافِ

صفائِهِ تختلفُ إفاضاتُ الشمس عليه، وتعدّدُ

أنواع ــــ هذا النورِ بتعدّدِ تلوّنِ الزجاجِ،

واختلاف صفائِهِ وكذلك الإفاضات الإلهيةُ

تَصدرُ عنِ الذاتِ ــ العليّةِ خيراً محضاً

وتكيّفها القوابل، فتحيلُها إلى أنواعٍ شتّى من

ضروبِ الخيرِ، وفنونِ الشرورِ إلى ــــ

مستنقعاتِ المخازي، ومعَ هذا فإنني رأيتُ

هذا المسمّى بالشرّ ذا جهتينِ متباينتينِ كسائرِ

الأشياءِ، جهةِ الإفاضةِ وهي خيرٌ محضٌ

وجهةِ القابليةِ وبها تتراوحُ هذهِ الافاضةُ

بينَ الخيرِ والشرِّ، إلى أن يغلبَ أحدُهما الآخرَ،

فيُرحِّلَه، ولذلك كادَ أن يُجمِعَ رأيُ علماءِ الدينِ
بأنَّ اللهَ لم يخلقِ الشرَّ، وأنَّ الظلمةَ التي هي
الشرورُ، لا — أصلَ لها في الإبداعِ، فالأفعالُ
الصادرةُ عنِ الإنسانِ كما في التنبيهِ - إنْ
كان يستحقُّ الفاعِلُ عليها العقابَ فأحرى به أن
ينسِبَها إلى نفسِهِ، لأنَّ الصادِرَ عنِ الحقِّ
خيرٌ محضٌ، وهو الوجوبُ، لا غيرُ، والشرورُ
والنقائِصُ راجعةٌ إلى المقامِ الإمكانيِّ. وقد علّلوا
ذلك بأنَّ الإنسانَ إذا كانَ في طاعتِهِ وأعمالِهِ
الإلهيّةِ، يكون حينئذٍ خارجًا عن ميولِهِ وأهوائِهِ
النفسانيّةِ، متوجّهًا إلى اللهِ بواسطةِ — فيوضاتِهِ
القدسيّةِ، وإمدادِهِ (النوريِّ)، فلذلك يكونُ
إسنادُ طاعتِهِ إلى اللهِ أولى، «وما بكم من نعمةٍ
فمنَ اللهْ» وإنْ كانَ في المعصيةِ وأنواعِها يكونُ

متحدِّدًا عندَها بحدودِ أنانيتهِ، مجموعًا تحتَ تصرُّفِ نزعاتهِ، فتكون لذلك نسبةُ معاصيهِ لنفسهِ أَولىَ، على أنَّني أرى أنَّ كلَّ ما يصيبُ هذا الإنسانَ مِن هذا القَبيلِ، قائدٌ إلى اللهِ، فالجميعُ خيرٌ محضٌ - مِنَ اللهِ، فتوفيرُ الأموالِ وتصحيحُ الأجسامِ وإنذارُ الأولياءِ وتبشيرُهم نعمةٌ كبرى مِن اللهِ، كما أنَّ الابتلاءَ في الأموالِ والأنفسِ، وزجرَ الأشقياءِ نعمةٌ أكبرُ، ولذلك عدّوا فرعونَ ونقمته نعمةً كبرى، كما حسبُوا موسى عليه السلامُ ودعوته نعمةً أيضًا وهذا معنى قولِهم: خَلَقَ اللهُ جهنَّمَ سَوطًا ليسوقَ به المؤمنينَ إلى الجنَّةِ..



# القَبْضتانْ

حيثُ علمتَ أنَّ الشرورَ بدوائرِها الثلاثِ خيرٌ بالذّاتِ، وإنْ ـــــ ترتّبَ على بعضِها شرٌّ فهو بالعرَضِ، وعلمْتَ أنَّ هذه الشرورَ ـــــ منها ما هو خيرٌ بأنفسِها، وجميعُها خيرٌ للجميع، ـــ وإنّ الواقعَ ـــــ منها بالإنسانِ خيرٌ للمجتمع والإنسانِ، فعلى هذا لم تكنْ هبطــةُ ـــــ الروحِ شرًّا، بل هي خيرٌ محضٌ. وبعدَ هذا نرى أنه يجبُ علينا ـــ أن نُلِمَّ بأخبارِ القبضتينِ إلمامةً ولو عجْلى، لنعلمَ شيئًا مما بها من الأسرارِ التي تعرِّفُنا أنَّ لها تعلُّقًا مباشِرًا بالهبطةِ، وردَ أنّ الله خَلَقَ أرضًا طيّبةً وأجرى عليها ماءً عذبًا، ثُمَّ خلقَ طينةَ الأئمة (ع)

ثُمَّ خلقَ أرضًا مُنتنةً، وأجرى عليها ماءً - آسنًا فخَلقَ منه أئمةَ الكُفرِ، ثُمَّ مَزجَ الطينتينِ وخلطَها بالماءَينِ، ثُمَّ قبضَ قبضةً وقالَ: هذه للجنةِ ولا أُبالي.. ثمَّ قبضَ أخرى وقالَ: وهذه للنارِ، ولا أُبالي، ثُمَّ خلطَ بينَهما ؟ إلقِ على هذا الخبرِ نظرةً فاحصةً: ؟

خَلَقَ اللهُ سبحانه طينةَ الأئمةِ(ع) أي أجسامَهم مِن أرضٍ طيبةٍ، وماءٍ طيّبٍ، مع ما وردَ عنهم أنَّ اللهَ خَلَقَ أرواحَ شيعتِهم مِن فضلِ طينتِهم - وخَلقَ أئمةَ الكفرِ مِن أرضٍ منتنةٍ وماءٍ آسنٍ أمَا ترى بحَمْلِ هذه الروايةِ - على مضمونِ ألفاظِها - أنَّ الأئمةَ المعصومين(ع) وأئمةَ الضلالِ ـــــ لم يكونُوا إلا عندَ الهبطةِ، ثُمَّ أنَّ مَزْجَ الطينتينِ وخلطَها ـــ وقبْضَ قبضتينِ، واحدةٍ للجنةِ، وأخرى للنارِ، أمْرٌ مقضيٌّ عليهما، فما النفع بالعمل

الصالح ، وما الضرر بإنكار الشرائع وإتيان المحرّمات ؟

ألا ترى أنّ بكلمة لا أبالي، ولا أبالي، صورة ـــ

جبّار غشوم أراد تعذيب قوم وإشقاء هم، لا لعلّة

والترفيه عن آخرين، لا لعلة، تعالى الله مفيض الحنان

واللطف، وينبوع الخير والكمال، ثمّ الخبر الآخر:

لمّا خلق الله آدم بعث جبريل (ع) فقبض بيمينه

من كلّ سماء تربة، ثمّ قبض من الأرض بيده

الشمال فعجنها، ثمّ قال له اخلط الطينتين، وذرأ

من الأرض ذروًا فقال: أطيعوا كلمتي وأمري، قال

ذلك الذي بيمينه من الرسل والأنبياء والشهداء

ومن أراد كرامته، وقال ذلك ـــ للذي بيده اليسرى

مثل الجبابرة والطواغيت ومن أراد هوانه، وانظر ـــ

ـــ هذا الخبر أيضًا، من أين للسماء التراب ؟!

ومن أين لجبريل اليمين واليسار ؟! وما هذا العجن

وكيف يكون الجبابرةُ بيدِهِ اليسرى مقابلينَ
الرسلَ والأنبياءَ والشهداءَ الذينَ هم بيدِهِ اليمنى ؟!
أرى أنَّ أخبارَهم لا تُشرحُ إلا بأخبارِهم نفسِها
وأنّ هذه الأخبارَ تخضعُ لحكمِ المحكَمِ والمتشابه
والخاصِّ والعامِّ ، لأنّه ورَدَ عنهم أنّ كلامَهم
كالقرآنِ الكريمِ ، منه محكمٌ ، ومِنه متشابهٌ
ومنه ... ومنه ... ، وأرى أنهم إن أخبرونا ———
عن عالمِ الغيب أخبرونا بالأكثرِ بما في عالَمِ الشهادةِ
لنقوى بواسطةِ الخيالِ على معرفةِ عالَمِ الغيبِ ، ولأنَّ
تكوينَنا مِنَ الطينِ ، صوّروا لنا تكوينَ عالَمِ الملكوتِ
مِن طينٍ : خمَّرَ طينةَ آدمَ بيدِهِ ... أأسجدُ لمَنْ
خلقْتَ طينًا ... إنَّ مثلَ عيسى كمثلِ آدمَ خلقَهُ
مِن ترُابٍ ... أنا مِن آدمَ وآدمُ مِن ترُابٍ ... وبهذا
شرَحُوا كنيةَ أميرِ المؤمنين بأبي ترُاب فكنوا عن كلِّ

مادةٍ خُلِقَ منها شيءٌ بالتراب تقريبًا لإفهامِنا لأننا

خُلِقْنا مِنَ الترابِ ، فيكون أميرُ المؤمنين (ع) أبا كلِّ

ترابٍ أي أبا الآباء كما وَرَدَ . أما الطينتانِ فواضحٌ

جدًا أنَّ المرادَ بهما الروحانِ الطيبةُ والخبيثةُ ، وهو

ما حكاهُ الفيلسوفُ عمادُ الدينِ قدَّسَه الله

بما اقتبسه عنِ الموالي الكرامِ ، وأخْذُ جبريلَ مِن كلِّ

سماءٍ تربةً ، هو - على ما أرى - تسلسلُ

الأنوار رتبةً عن رتبةٍ إلى الأرواحِ الهابطةِ ،

ومعلومٌ أنَّ المعلولَ كيانُهُ عن العلةِ

والسبب عن المسبِّبِ ، وإنَّ كلَّ رتبةٍ سماءٌ

لِما دونَها ، وفي كلِّ معلولٍ أثرٌ مِنَ العِلةِ ، فيصبحُ على

هذا بالأرواحِ الهابطةِ أثرٌ مِن كلِّ سماءٍ ، أي من

كلِّ رتبةٍ ، فهذا هو أخْذُ التربةِ مِن كلِّ سماءٍ .

وكلُّ الفلاسفة تكلموا عنِ التكوينِ بما لا يخرج

عن هذا مَهْما اختلفتْ ألفاظُهم . والقبضةُ مِنَ

الأرضِ هي هذه الأخلاطُ الطبيعيةُ التي رُكِّبنا منها فيكونُ
المأخوذُ مِن هذه السماواتِ وهذه القبضة ـــ
هو القبضتانِ ، والمزجُ هو تركيبُ الروحِ بهذهِ
الأخلاطِ ، والله سبحانه أعلمُ. واليمينُ والشمالُ
كنايةٌ عنِ الإقبالِ على اللهِ والإدبار عنه ، كما
قالوا : إنّ جميعَ الأشياء باعتبارِ توجُّهِها
إلى اللهِ سبحانه يمينٌ ، وباعتبارِ توجهها إلى الملكوتِ
العليا (عالَمِ الجنةِ والنورِ (يمينٌ) وباعتبارِ
توجهِها إلى الملكوتِ السفلي (عالَمِ
الشياطين - جهنّمَ) (شمالٌ) ولهذا لايجوزُ أنْ
يكونَ للهِ جلّ جلالهُ شمالٌ كما وردَ في الحديثِ ـــ
الشريفِ : « كلتا يديهِ يمينٌ » ولذلك لم يرِدْ مرّةً واحدةً
في القرآنِ شمال الله . قال سبحانهُ : « ما قدروا اللهَ حقَّ
قدْرِهِ ، والأرضُ جميعًا قبضتُهُ ، والسماواتُ مطويّاتٌ

بيمينه» مع أنّ المناسب لمقابلة اليمين أن يقول: والأرض في شماله. وشرحوا قوله تعالى شأنه: - أصحاب اليمين وأصحاب الشمال - أنّه إشارة إلى العالمين النوريّ والظلمي. جاء في التنبيه «وأما البصر الإلهي فهو عبارة عن تعيّن نور وجوديّ... - إلى قوله - «فباعتبار تعلّق هذا النور بوحدة، أو فاعلية، أضيف إلى يمين، وباعتبار تعلقه بكثرة أو قابلية، أضيف إلى يسار.

وأمّا أنّ الرّسل والأنبياء والشهداء هم القبضة التي قبضها من السماء بيمينه، فلأنهم هم أنوار السماء بمختلف أنواعها لا بل هم السماء وأنوارها، ومعنى أنهم بيمينه، فلأنهم متجهون إليه أزلاً وأبدًا، ولعله أراد بالشهداء محبّي أمير المؤمنين - وقد ورد ذلك - فيكون جمع الرسل والأنبياء -

والمؤمنينَ وأمّا أنَّ الجبابرةَ والطواغيتَ هم قبضةُ شمالِهِ، فلأنهم مدْبرونَ عنِ اللهِ أزلاً وأبدًا، كما مَرَّ مِنْ شرْحِ اليمينِ والشمالِ. وهــذا معنى ما وَرَدَ في بعضِ الأخبارِ أنّ الأنبياءَ والرسُلَ والأوصياءَ قيامٌ عن يمينِ العرشِ، ثم ظلالُ مؤمني الجنّ ... - إلى قولِــهِ: «ثمَّ أقامَ عن شمالِ العرشِ ظلَّينِ ملعونَينِ، ثمَّ مِن بعدِهم ظلالَ الجبابرةِ. عرَفْنا اليمينَ والشمالَ، فيجبُ أن نعرفَ ما هو المرادُ بالعرشِ. قالوا: «العرشَ هو المشيئةُ باعتبارِها مظهرًا للهِ منزّهاً عنِ الكثراتِ «الرحمنُ على العرشِ استوى» واستواؤُهُ باعتبارِ سعَتِهِ للأشياءِ جميعِها - فلذلكَ كانَ ظلالُ الجبابرةِ عن شمالِ العرشِ وظلالُ الجبابرةِ هي مظاهرُهُم هنا، لأنَّ كلَّ ما في عالمِ الطبعِ مِنَ السماوياتِ والأرضياتِ صُوَرٌ

وظلالٌ لِما في الآخرة، وما في الآخرة حقائقُ لِما في الدنيا
فالعناصرُ ومواليدُها، والأفلاكُ وكواكبُها حقائقُها
في الجنة، وليس في الجنة شيءٌ إلّا وظلُّه في هذا العالَم،
وكذلك جهنّمُ. واللهُ - سبحانَه - أجلُّ وألطفُ
وأعدلُ مِن أن يخلَقَ هذا كافرًا، وهذا مؤمنًا
ولكنَّ العدْلَ كلَّ العدْلِ فيما وردَ ولا أدري إن كانت
هذه ألفاظَه - «خَلَقَ اللهُ العالَمَ متساويين —
كأسنانِ المشطِ، أو كأسنانِ الحمارِ، لا برَّ»
ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولا أُنثى ولا ذكر
فإنَّ اللهَ لمّا خلقَ الخلقَ جعلَ فيهم استطاعةً
واحدةً، وقدَّرهم على الإقرارِ — والإنكارِ،
عدلاً وإنصافًا، ولم يقضِ عليهم بطاعةٍ ولا معصيةٍ
بل قدَّرهم على الجميعِ، وجعلَهم مخيَّرين لا مجبَرين
وقالَ: وقعَ — التعديلُ بينَهم في الابتداءِ، وهم.

أشخاصٌ نوريةٌ «ألم نجعلْ له عينين ،
ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين ؟
فلا اقتحم العقبة » وورد «أجاب من أجاب
لا لعلةٍ وأنكر من أنكر لا لعلةٍ » والحكمةُ
في الممازجة بين القبضتين هو ما تقدّم عن أمير المؤمنين
إنّما بدؤ وقوع الفتن ، أهواءٌ تُتّبعُ ، وآراءٌ
تبتدعُ .. » الخ «ليهلك من هلك عن
بيّنةٍ » وأرى أنّ من أوسع معاني
هذه الممازجة ولادة المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن . وأرى أنّ القبضتين هما
ما وردَ في الحديث الشريف : « إنّ الله
سبحانه خلق الخلق في ظلمةٍ ثمّ رشّ عليهم
من نورهِ » شرحه الشيرازي : خلق بمعنى

قدَّرَ، وذلك بأنّ التقديرَ سابقٌ على الإيجادِ
ورشٌّ ــ النورِ كنايةٌ عن إفاضةِ الوجودِ على
الممكناتِ فمَنْ أصابه ذلك النورُ اهتدى، ومَنْ
أخطأه ضَلَّ، فالرشُّ عمومٌ ــ والإصابةُ ــ
تخصيصٌ. وقالَ ابنُ عربي في شرحِهِ ــ إيّاهُ:
«خلقَ بمعنى قدَّرَ، وأولُ أثرٍ إلهيٍّ في الخلقِ
والتقديرُ قبلَ وجودِهم فهو كإحضار ــ
المهندس في ذهنه ما يريدُه مِن اختراعِهِ
كأنه قالَ: قدَّرَ اللهُ التقديرَ في ظلمةٍ أي في
غيرِ موجودين» وقصةُ الخلقِ في الظلمةِ والتهيُّؤِ والقبولِ
في الأعيانِ لظهورِ الحقِّ في صورِ الوجودِ. وأرى أنّ
خطابَ الموالي(ع) إيانا في أحاديثِ الهبطةِ والقبضتينِ
وغيرِهما بالماضي، لتحقّقِ ــ الوقوعِ، لا أنه وقعَ كما
في قولِهِ تعالى «اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ» ــ
تأكيداً بأنّ الساعةَ لا بُدَّ مِن قيامِها، وعلامةُ

ذلكَ انشقاقُ القمرِ فلا الساعةُ اقتربَتْ
ولا القمرُ انشقَّ .

وكما في قولِهِ سبحانَه :
«أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه»
أي أنَّ أمْرَ اللهِ متحقِّقٌ إتيانُهُ وما أشبهَ .



# بالهبطة (يعرف الله)

إنّ أحاديث الهبطة كثيرة مختلفة الألفاظ، متّفقة المعاني وتتبّعها يطول، ولذلك استغنينا بهذا الخبر، وأراه أصرحها وأوضحها:

« قال الله لآخر خلق خلقه من النور، وهو أضعفهم قد أذنّا لكم أن تنزلوا إلى الأرض، لنبلوكم أيّكم أحسن عملاً - وكلّ من عصاني منكم، خلقت من معصيته عدوّاً له، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا الضعف يقينهم، نجتمع إلى ربّنا فنسأله أن نطيعه في سماواته، ولا نحتاج أن نهبط إلى الأرض، فلما قالوا ذلك وهم لا يعلمون أنه معصية »،

وَرَدُّوا على اللهِ قولَه ، فاجتمعُوا إليه ، وكانَ يومئذٍ ظاهرًا
لهم يراهم ويرونه رؤيةَ العينِ ، فقالوا إلهنا أخبرتَنا
أنّكَ تنزلُنا وتسكنُنا الأرضَ ، وتبلونا ، وتخلق
مِن معاصِينا عدوًّا لنا — ولكَ المشيئةُ في أمرِكَ ،
والبِدأ في فعلِكَ ، فلا تُهبِطْنا إلى الأرضِ — ودعْنا
في السماءِ نحمدُكَ ونشكرُكَ ، قالَ اللهُ : ها قد —
عصيتموني بردِّكم عليَّ ، ألَا قلتُم : إلهنا ، أنتَ
أعلمُ ، ولا علمَ لنا ، استسلمْنا لأمرِكَ واتبعْنا
رضاك ، فكنتُ أشكرُ ذلكَ لكم مِن قولِكم ،
ولكنّكم ردَدْتُم عليَّ أمري ، فخلَقَ مِن معصيتهم
حجاباً واحتجبَ به عنهم ، وخَلقَ لكلِّ واحدٍ منهم
سبعةَ أبدانٍ ، يردّدون فيها ، ثُمَّ ينقلون إلى غيرِها ،
فطافوا بذلك الحجابِ سبعةَ آلافِ سنةٍ ندامى
على ما فاتهم مِنَ اللهِ ، وحُرِمُوا مِنَ النظرِ إليه

فلمّا تحيّروا رحمَهم ، فأرسَلَ إليهم الرسلَ ، فكانَ
أول ما أتاهم سيدنا محمد (ص) رأسُ الأنبياءِ وخاتمُهم
في قديم الأمرِ وحديثهِ في الأظلةِ والأشباح والأرواح
ثم خلَقَ لهمُ الأبدانَ اللحميةَ الدمويةِ — وخلقَ لهم مِن
معصيتهم إبليسًا ، فخلقه روحانياً بلا بدَنٍ وخلقه
مِن معاصي المؤمنين ، وزلّاتهم وخطاياهم ، فلمّا نظَرَ
إلى السماءِ — مِن فوقهِ ، وهو قائمٌ ، وربٌّ محتجبٌ ،
وأرواحٌ نورانية تختلف في الأبدان ، فلم يعرفِ الملعونُ
ابتداءَ الخلقِ ، وكيف خلْقُهُ ، ومِن أيّ شيءٍ خلِقوا ،
ولم يشهدْ ها .. ثم قالَ : إنَّ إبليسَ وذريته جهلَةٌ —
خلِقوا مِن جهل ومعصيةٍ ، فلا يطيعون سبيلَ
الرشدِ - مِن سبيلِ الغيِّ ، وخَلَقَ المؤمنين من
روحِ الحياةِ ، فإنْ شكّوا رجعُوا ، وإنْ جهلوا
وقفُوا ، وإنْ عصَوا استغفروا ، — ومعصيةٌ

المؤمنِ على غيرِ تَعَمُّدٍ ، ولإبليسَ أسامٍ مختلفةٌ على قدْرِ الظلِّ والشبحِ والروحِ » يتضمّنُ هذا الخبرُ حكايةَ الهَبطةِ على طولها : فقولهُ سبحانَه لأضعفِ الأنوارِ الذي هو الأرواحُ الهابطةُ أذِنَ لكم أن تنزلُوا إلى الأرضِ لاختبارِكم ، أي أُمِرتُم بالنزولِ كما أتى عن أميرِ المؤمنين (ع) بشرحِ قولهِ سبحانَه «إنّما أمرُه إذا أرادَ شيئًا ...» إلخ ، قالَ : «أمرُهُ إذنُه للشيءِ أن يكونَ فيكون ، لأنّ كلامَه سبحانَه ليس بصوتٍ يُقرَعُ ، لأُذْنٍ تسمعُ» ومَن عصاني أخلقْ مِن معصيتِهِ عدُوّاً له ، فعرَفُوا لصفائِهم - كما تقدَّمَ - ما يمرّون به بلبسِهمُ الأجسامَ الطينيةَ مِنَ الشقاءِ والعذابِ فتشاوروا ليسألوا اللهَ سبحانه أن يُبقيَهُم بصفائِهم ، وهذه المشاورةُ هيَ الأنفَةُ

المذكورةُ بقولِهِ سبحانه : "وإذ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً ، قالُوا أتجعل فيها مَن يُفسِد فيها ويَسفِكُ الدماءَ ونحن نُسبّحُ بحمدِكَ ونقدّسُ لك" وذلك لجهلِهم معنى — الاستحقاقِ الذي يخصُّهمُ اللهُ بهِ ، فسألُوه ذلك ، فكانَ هذا السؤالُ ردّاً على اللهِ ومعصيةً ، لأنه يجبُ أن يكونوا طوعَ إرادتِهِ فقالَ لهم : هلّا قلتُم : إلهُنا ، أنت أعلمُ ، استسلمْنا لك فافعلْ ما تشاءُ ، فخلقَ مِن معصيتِهم هذه حجاباً احتجَبَ به عنهم ، ثمّ خلَقَ لكلِّ واحدٍ منهم سبعةَ أبدانٍ ، وهي التراكيبُ السبعةُ : النطفة ، العلقةُ — المضغة ... إلخ ، ثم يُنقلونَ إلى غيرِها مِنَ الأجسامِ المركّبةِ البدنيةِ فطافُوا بذلك الحجابِ سبعةَ آلافِ سنةٍ نادمين على ما فاتهم مِن طاعةِ اللهِ بِرَدِّهِم عليه أمرَه بالهبوطِ ، متحسّرينَ على حُرمانهم مِن

النظرِ إليه ، وهو أعظمُ نِعَمِ اللهِ ، فرحِمَهُم ، ورَقَّ لهُم
فأرسلَ لهم محمدًا (ص) وهم بشرٌ ، كما أرسلَه لهم
وهم نورٌ في الأظلةِ والأشباح وقد كانَ خلقَ مِن
معصيتهم تلك إبليسَ ، خلقَه روحانيًا بلا بدن —
وقد أرى في هذا وأمثالِهِ ، أنّ إبليسَ ظلٌّ ظلمانيٌّ روحانيٌّ
غيرُ مُركَّبٍ كما في آخرِ هذا الخبرِ مِن أنَّ له أسامِيَ
مختلفةً على قدرِ الظلِّ والشبحِ والروح ، فنظرَ إبليسَ
فرأى سماءً وأرواحًا نورانيةً ، تختلفُ أبدانُها ، فلم يعرِفِ
الملعونُ ابتداءَ الخلقِ ، ولم يشهدِ الخلقةَ ، فهو وذريتُه
أي الأرواحُ الكافرةُ جهلةٌ ، خُلِقوا مِن جهلِ الأرواحِ
الهابطةِ ومعصيتِها فلا يُطيعونَ أبدًا ، والمؤمنونَ خُلِقوا
مِن روحِ الحياةِ ، إن شكّوا — رجعُوا ، وإن جهِلوا
وقَفوا حتى يعرفوا ، لأنّ معصيتَهم مِن غيرِ تعمُّدٍ ،
— بل هي مِن تركيبِ الأخلاطِ البدنيةِ كما وَرَدَ .

وقولُ عمادِ الدينِ عن هذا الخبرِ وأشكالِهِ، إنه كالمثَل والممثولِ يُعين على شَرْح غوامضِها وتبيينِ مُعَمّياتها

## اختلافُ العُلماءِ بالهبطة

اختلفَ العلماءُ في آدمَ المهبوطِ بهِ مِنَ السماءِ، هل هو آدم النوع — والجنسِ، أم هو آدمُ الفردِ والشخص؟ فعلى رأيِ الأكثرِ مِنَ الفلاسفةِ، أنه لا يجوز أن يخلقَ فرداً يكونُ هدفاً — لغوائلِ الوحوشِ المفترسةِ، وعوادي تغيُّراتِ الطبيعةِ مَعَ — وحدتِهِ وكثرتِها، فلا يمكنُ أن تكونَ حياةٌ مَعَ هذه الأنواعِ — مِنَ الوحوش

المفترسة ، والأعاصير ، إلا بالتعاون الإنساني
والتعاون لا يكون إلا بكثرة الأفراد ، فعلى هذا يجب
أن يكون المرادُ بآدم المهبوط من الجنة ، آدمَ
النوع لا آدمَ الفرد ، وإذا جاز تكوّنُ فردٍ من جهةٍ
فما المانعُ مِن تكونِ أفراد أخرى متجانسة تقدر على
تسخير هذا الكون ، بما فيه ، وقد وجد لأجلها
والذي يعضدُ هذا الرأيَ ما في التوراة ، أنه لمّا قتل
قابيلُ — أخاه هابيل ، لعنه الربُّ وطرده
فخرج هائماً على وجهه وسكن أرض « نور » شرقيّ عدن
، وعرف امرأته ، فولدت ابنًا سمّاه أخنوخ ، وبنى
مدينةً ، وسمّاها باسم ابنه ، فمن أين هذه المرأةُ ؟
وما هي الحاجةُ لهذه المدينة ؟ وكيف يقدرُ فردٌ —
على بنائها ؟ وممّن تعلّم صنعة البناء ؟ وورد في
كتب الإسلام ، بأنّ آدم زوّج قابيل من قبيلة

مِن قبائِلِ الجِنّ ، وورِدَ مِن قبائِلِ الإنسِ ،
ونزّل لشيث حوريةً مِنَ الجَنةِ ، فكانَ يزوّجُ
أبناءَ العمِّ مِن بناتِ العَم ولما صارتْ ذريتُهُ
تصلحُ للزواج بلا مجوسيةٍ صَعَدَتِ الحوريةُ
للجَنةِ ، فما كانَ في الناسِ مِن حسنٍ وجمالٍ فمِنَ
الحوريّةِ ، وما كان فيهم مِن سَكينةٍ ووَقارٍ وحلم
فمِن آدمَ ، وما كانَ مِن حِدّةٍ وعجلة فمِنَ الجنّ
ووردَ أنّ الأرواحَ هبطتْ بأجمعِها دفعةً واحدةً ،
منفيةً مِنَ الملأ الأعلى لهذهِ الأجسام الطبيعيةِ
وعندَها امتازتِ الذكورةُ مِنَ الأنوثةِ ، وكانَ
هبوطُها كنزولِ المطرِ ، ولَقِيتْ كلُّ روح جسمًا كانَ
مهيّأً لها قبلَ هبوطِها ، وقد كانَ إبليسُ تخللَ هذه
الأجسامَ ، قبلَ سلوكِ الروحِ بها ، لم يُبق بها
خلاءً إلا ودخَله . والذي أراه مِن إشاراتِ الموالي (ع)

بأخبارِهم أنّ الأرواحَ المهبوطةَ مِنَ السماءِ إلى
هذه الأجسامِ هي المرادةُ باسمِ آدمَ هذا
فهو آدمُ النوعِ والجنسِ، لا آدمُ الفردِ وأنّ النشآتِ
متصلٌ أوّلُها بآخرِها، وآخرُها بأولِها، إلا آدمَ
الأولَ فهو آدمُ اللاّهوتي، ومعه حوّاءُ اللاّهوتيةُ
اللذان كانَ عنهما عوالِمُ الأنوارِ، لاستحالةِ إيجادِ
شيءٍ مِنَ الأشياءِ إلا عن سببٍ وعلةٍ، والذي
دعا الفلاسفةَ للقولِ بوجوبِ هبطةِ —— الأرواح
بالإجماعِ، ولبسِها الأجسامَ دفعةً واحدةً،
هو اعتقادُهُم أنّ أنواعَ الحيوانِ كانت قبلَ نوعِ
الإنسانِ، ورأيُ الموالي (ع) يختلفُ عن هذا بأنّ
الحيوانَ لم يكنْ إلا بعْدَ نقلِ الإنسانِ مِنَ الصورةِ
البشريةِ، إلى الصورةِ الحيوانيةِ، بما اكتسبَ واجترحَ
فإذاً أولُ إنسانٍ لا يحتاجُ هذا التعاونَ لدرْءِ —

الخطرِ الذي ذكروه . وأرى أن قصةَ تزويجِ آدمَ ولدَيهِ مِن حوريةٍ وجنيةٍ يدلُّ على هذا ، وتقسيمُ أخلاقِ الإنسانِ ، مِن الأخلاقِ المزاجيةِ والروحِ الروحانيةِ ، وقصةُ هبوطِ الأرواحِ من السماءِ بشكلِ مطرٍ ، وكلُّ روحٍ وجدَ جسمًا مُهيّأً له ، وتخللُ إبليسَ هذا الجسمَ قبلَ سلوكِ الروحِ به ، فنزولُ الأرواحِ كالمطرِ كنايةٌ عن هبوطِها مِنَ العلوِّ المعنويِّ إلى القيدِ والتركيبِ ، والأجسامُ المهيّأةُ هي الأخلاطُ الطبيعيةُ ، وتخلّلُ إبليسَ إيّاها هو تجاذُبُ القُوى النفسيةِ ، كالغضَبيةِ والسبعيةِ والشهويةِ ، وما أشبهَ وهذا معنى ما ورَدَ : أنّ إبليسَ كلِّ إنسانٍ هو مزاجُهُ .



# خلاصة ما تقدّم

وحيثُ علمْتَ فلسفةَ التكوينِ،

بحدوثِ الأشياءِ بالتسلسلِ عنِ النورِ الأولِ،

إلى عالَمِ الكونِ والفسادِ، وعلمْتَ أنّ كيانَ هذا

لعالَمِ بأنواعِهِ مِنَ الأركانِ الأربعةِ : النارِ والماءِ

والهواءِ والترابِ وأنّ كيانَ هذه الأركانِ الأربعةِ

عنِ الحرارةِ الكليّةِ والرطوبةِ الكليّةِ، واليبوسةِ

الكليّةِ، والبرودةِ الكليّةِ، الذين هُمُ الطبيعةُ

المطلقةُ، التي كانَ منها عالَمُ النورِ، وأنّ الوجودَ

لو لم يُخلَقْ على ما هو عليه، لمَا كملَتْ تقاسيمُهُ

حيثُ عَلِمْتَ هذا - عَرَّفنا اللهُ وإياكَ منهاجَ الخيرِ والتقوى فقد عرفْتَ بعضًا مِن موجباتِ الهبطةِ وحيثُ عَلِمْتَ أنّ وجودَ الجنِ والشياطينِ عن النورِ المجرّدِ تبعًا لقانونِ الأسبابِ والمسبّبات والعِلَلِ والمعلولات بالمَثَلِ الذي ضربوه بنورِ الشمسِ إذا قابَلَ جسمًا لا ينفذ منه انعكسَ عن هذا الجسمِ نورُ الشمسِ فيكون عن نورِ الشمسِ وهذا الجسمِ شيءٌ ثالثٌ، وهو ما كان في طبيعةِ واستعدادِ هذا الجسمِ المقابِلِ لنورِ الشمسِ، كالكبريتِ والنحاسِ والقصديرِ وما أشبهَ، فقد علمتَ كيف كانَ إبليسُ عن نارِ الأنفةِ. وحيثُ علمْتَ أنَّ آدمَ ليسَ واحدًا، وأنّ آدمَ الآكلَ مِنَ الشجرةِ آدمُ - الملْكي (عالَمُ الإنسانِ) وهو المخاطَبُ بالمعصيةِ في القرآنِ - وأنَّ الجنةَ المهبوطَ منها هي الصفاءُ والإطلاقُ، والهبطةُ هي

التقييدُ بهذهِ الأخلاطِ الماديةِ ، وأنَّ السجودَ
المأمورَ بهِ هو أمرُ اللهِ الذي أمرَ بهِ الأرواحَ
أنْ تهبطَ لهذه الأبدانِ ، فأبت فكانَ هذا الإباءُ
إبليسَ ، وإنَّ لكلٍّ نشأةٍ آدمَ ، فالنشآتُ —
كثيرةُ العددِ ، فآدمُ كثيرُ العددِ ، فقد عرفْتَ
آدمَ الذي — أهبطَهُ اللهُ من الجنةِ ، وحيثُ
علِمْتَ أنَّ الشجرةَ المأكولَ منها هي رمزٌ ، وأنَّ اختلافَ
أسمائِها عندَ الشرّاحِ يدلُّ على اختلافِهم —
بفهمِها ، وأنَّ هذا الرمزَ أُوِّلَ تأويلينِ متناقضينِ :
الأولَ ولايةُ مَن باؤوا إليه ، والثاني سرُّ اللهِ الذي
مَن تناولَه بغيرِ إذنٍ مِنَ اللهِ طُرِدَ مِن رحمةِ اللهِ ، ومَن
أكلَ منها بإذنٍ مِنَ اللهِ ، أُلهِمَ علمَ الأولينَ
والآخرينَ بغيرِ تعلُّمٍ ، ومنها كانَ يأكلُ محمدٌ وعليٌّ
وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ ، فلا يحسّون بجوع

ولا عطشٌ، فقد عرفْتَ هذه الشجرةَ التي أكلَ منها
هذا الآدمُ النوعيُّ. وحيثُ علمتَ أنَّ الزمانَ صورةٌ
للأزلِ، وأنَّ الليلَ والنهارَ وَدَوَرانَ الشهورِ
والسنينَ بحسبِنا لا بحسبِهِ، وكذلك الماضي
والحاضرُ والمستقبلُ بالنسبةِ لنا لا له، وإذا
تنزَّلَ ظاهرًا بهذه الآناتِ شَمِلَهُ الماضي والحاضِرُ
والمستقبَلُ، إذا عَرَفْتَ ذلك فقد عرفتَ
الزمانَ الذي كانت به الروحُ قبلَ الهبطةِ،
وحيثُ علمْتَ أنَّ المكانَ هو الجسمُ الحاوي
للجسمِ المحوي، ولا يختصُّ بالجسمِ الماديِّ،
بل كلُّ ما كانَ حامِلاً لشيءٍ حاويًا له فهو
مكانٌ له، سواءٌ أكانَ ذلك الحَمْلُ ماديًا
أو معنويًا، فقد عَرَفتَ مكانَ الروحِ قبلَ
الهبطةْ. وحيثُ علمْتَ أنّ عالمَ الغيبِ لا تركيب

فيه ، وهو خارجٌ عن زماننا ، مستغنٍ عن مكاننا
لشدّةِ صفائِه ، وإنْ كانَ ولابدَّ مِن زمان ومكان
فزمانهُمُ البساطةُ ، ومكانهُمُ التجرّد ، فقد عرفْتَ
كيف كانتِ الروحُ قبلَ اتصالها بالبدن ، وحيثُ
علمْتَ أنّ الإنسانَ لبابُ — الكونِ ، ومجمعُ
الوجودِ ، وخُلِقَ على مِثالِ الصورةِ الجامعةِ —
الكليةِ وأُبدِعَ مستصلحًا لعِمارةِ هذه الدارِ ، بخلافِ
الملائكةِ والحيَوان ، فقد علمْتَ أنّ اللهَ لم يُهبِطْ
هذه الروحَ إلى هذهِ — الدارِ هواناً بها ، بل تعليةً
لشأنِها ، وتكملةً لصفائِها ، وحيثُ علمْتَ أنّ عالمَ
الشهادةِ فيضُ عالمِ الغيبِ ، وأنّ هذا المزاجَ —
هو الوسيلةُ الوحيدةُ لذلكَ الصفاءِ والإطلاقِ
فمنهُ إلى اللطائفِ النوريةِ ، والحقائقِ الملكوتيةِ ،
فقد عرفْتَ أن هذه الروحَ لم تخرجْ مِن عالمِ النورِ إلاّ لما
يؤهلُها إلى الرجوعِ لأحسنَ مما كانت عليه ، وحيثُ

علمتَ أنّ الشرورَ بأجمعِها عَرَضيةٌ لا ذاتيةٌ ، وأنها
لم تكن إلا بأمرين : إمّا تكفيرًا عن مؤمنٍ ، أو انتقامًا
مِن كافرٍ وأنّ الأعمالَ بنسبتِها إلى اللهِ خيرٌ محضٌ
وإذا استحالَتْ إلى شرٍّ فبحسبِ القابليةِ والاستعدادِ
عَرَفتَ أنّ هبوطَ الروحِ وتركيبَها بالبدنِ ، لم يكن شرًّا
عليها ، بل خيرًا محضًا ، وحيث علمْتَ أن المرادَ
بالقبضتينِ الروحانِ ، وأنّ المرادَ بلا أبالي ——
—— ولا أُبالي ، الإخبارُ عما سيكون بعدَ الهبطةِ بما
تستوجبه كلا الروحينِ ، لا أنّ ذلك مقضيٌّ عليهما
وإذا كان ما يكون منهما وعليهما بعلمِهِ ، فليس علمُهُ
فيهما قضاءً عليهما ، وأنّ اليمينَ والشمالَ هما ما أدّى
إلى اللهِ ، وما كانَ سببًا للإدبارِ عنه ، فلهذا كانت هذه
قبضةَ اليمينِ ، وهذه قبضةَ الشمالِ فقد عَرفتَ أنّ
اللهَ لم يخلقْ هذا مؤمنًا ، وهذا كافرًا ، تعالى عدلُ اللهِ

ورحمتهُ . حيثُ عرفْتَ هذا جميعَهُ معرفةً تامةً ،

هانَ عليكَ أن تعرفَ أنّ ما أتى عن الموالي عليهمُ

السلامُ بالهبطةِ رموزٌ تُحلُّ بشروحها عنهم ،

وتشرحُها جملةُ الفيلسوفِ المحقّقِ عماد الدين الغساني

بقولهِ « هي كالمثَلِ والممثولِ » وأنْ تعرفَ أنّ

الوجودَ لم يكن تامًّا لولا هبوطُ الأرواحِ من صفائِها

إلى هذه الأجسامِ الكدرةِ وأنّ هبوطَها لم يكنْ

هواناً بها ، بل إعلاءً لشأنِها ، وأنها لم تهبطِ

بغضبِ اللهِ تعالى اللهُ مفيضُ الرحمةِ والحنانِ ،

بل هبطَتْ بالعنايةِ الإلهيةِ ، والحكمةِ الربّانيةِ ،

ليشرّفَها بكمالِ معرفةِ باريها ، ويعقّلَها بعقلِها ويصفّيَها

كما في فلسفةِ عمادِ الدينِ وليعمّرَ بها هذه الدارَ

التي خلقَها لها تعظيمًا لشأنِها وإعلاءً لأمرِها ،

لأنّ الملائكةَ عقلٌ بلا شهوةٍ ، والحيوانُ شهوةٌ

بلا عقلٍ، وكلاهما غيرُ صالحٍ لعمارتِها، والإنسانُ المبدَعُ مِن المعقولِ والمحسوسِ، عَرَفَ اللهَ بعقلِهِ، فشابهَ الملائكةَ، وصَلَحَ بتركيبِهِ للحرثِ والنسلِ، فهو وحدَه الصالحُ لِعمارةِ هذهِ الدارِ كما في «التنبيه» ونعمتِ الفضيلةُ. ولم يكنْ هبوطُ الأرواحِ مِن عالمِ الروحِ والريحانِ والنعيمِ والرضوانِ إلى هذهِ الأجسامِ، تتعاقبُ عليها أنواعُ البلايا والمحنِ والرزايا، إلى محلٍّ دنسٍ خسيسٍ حاشا وكلا. بل كانت بهبوطها هذا خليفةَ اللهِ في أرضِهِ وأمينةً على أسرارِهِ، خَلَقَ إنسانَها على مثالِ صورتِهِ وجَمَعَ بهِ سائرَ المجموعاتِ، مِن عرشِهِ إلى فرشِهِ. فحسْبُ الإنسانِ هذا التكريمُ والتعظيمُ، وكفاه هذا التبجيلُ والتفخيمُ، ولم يرضَ اللهُ لهُ هذا الإعظامَ فحسْبُ، بل أرسَلَ

لهُ سفراءَهُ الإلهيينَ، ودعاتَهُ المعصومينَ، بكتبِهِ الإلهاميةِ، وشرائعِهِ الإلهيةِ، فبهذهِ النِّعَمِ السابغةِ، والأفضالِ المتلاحقةِ — كفى الإنسانَ فخرًا، وحسبُهُ تَجِلَّةً — واحترامًا !! إنَّ هذا - واللهِ - لا بلْ بعضَهُ لَهُوَ الشرفُ الباذخُ والمجدُ الرفيعُ. والشرورُ التي زعمَها الأكثرُ بلبسِ هذهِ الأجسامِ، تتَعاقبُ عليها الأمراضُ والآلامُ، هيَ نِعَمُ اللهِ السوابغُ، وآلاؤهُ الطيباتُ، لأنه - كما تقدَّمَ - لولا المزاجُ الطبيعيُّ الذي ذمَّتْهُ الملائكةُ، لم ينفرِدِ الروحُ الإنسانيُّ عن — عالَمِ الغيبِ، ولم يكُنْ ليجمعَ بوجودِهِ بينَ الماديِّ والمعنويِّ والكمالُ المطلوبُ مِنَ الرجوعِ إلى الصفاءِ لم يكنْ إلا ثَمَرَةَ صحبةِ — هذا الماديِّ، وعليه قولُ الأميرِ

حسن بن مكزون السنجاري:

وحُبّي الصبرَ الجميلَ زهدْتُ في ال
جنّاتِ حينَ رغبْتُ في النيرانِ
فأعادَها برداً عليّ سلامُها
في حلّها تركيبيَ الجسماني
فبقيتُ كالياقوتِ لا أخشى بها
عرضاً يُغيّرُ جوهري النفساني

وما تقدَّمَ مِن رجوع الأرواحِ إلى اللاهوتي بعدَ إتيانِها مِن الناسوتي، ترجِعُ إلى أمجدَ وأعلى وأشرفَ وأسنى، وتشرُفُ الوسائلُ بشرفِ الغاياتِ. وأما إنِ انغمستِ الروحُ بالرزائِلِ وغالبتِ النواميسَ الإلهيةَ، انحجبَت بحُجُبِ المادّةِ، شيئاً فشيئاً، وتجوهرتْ بها إلى أنْ —

تُصبحَ ماديّةً صِرفةً، وظلمةً بحتة. لكنني
أرى أنّ استحالةَ النورِ ظلمةً مستحيلٌ،
وكأنّها كلّما انغمسَتْ بالمعاصي، ذهَبَ شيءٌ
مِن نورِها وصفائِها، واستعاضَتْ عنه بشيءٍ
مِنَ الظلمةِ، وإذا والَتْ هذا الانغماسَ،
توالى ذهابُ النورِ عنها ومنها حتى تصبحَ ظلمةً
متجوهرةً بالمادّةِ، ويرجعُ النورُ إلى أصلِهِ
ولعلَّ هذا معنى قولِهم:
الأرواحُ الكافرةُ ذريةُ إبليس.

حلّتْ عارا في ٢١/١١/١٩٦٨



# محتوى كتاب الهبطة